(السنة الرابعة عشرة)

العدد الثالث يوليه - سبتمبر ١٩٤٨

صحيفة دار العلوم

ع ط ١٩٣٤ م ح ر ص

تصدرها جماعة دار العلوم
كل ثلاثة أشهر

المدير رئيس التحرير
محمد نجيب حتاته محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى بيومى

وكيل كلية دار العلوم
مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى	٢٠ قرشاً
خارج القطر	٣٠ قرشاً
ثمن العدد	٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج ١٦٣

إِنَّ بَاحِثًا مُدَقِّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ تَمُوتُ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَأَيْنَ تَحْيَا، لَوَجَدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
وَتَحْيَا فِي دَارِ الْعُلُومِ”

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

النقد في الادب العربى

للأستاذ السباعى بيومى
وكيل كلية دار العلوم

رابعا – فى العصر العباسى

٣ – العهد الثالث

من ٣٣٤ – ٤٤٧ هـ

إذا صح أن يقال إن الشعر العربى قد بلغ فى هذا العهد أوجه الذى مهد له أبو تمام وانتهى بالمتنبى ، فانه لصحيح كذلك أن يقال ، وإن نقد الشعر قد بلغ أيضاً فى هذا العصر المبلغ الذى به تكامل القول فى الشعر المحدث وتحليله وتعليله وبيان عيوبه وإظهار أخطائه ، على أيدى الأدباء الناقدين فيه ، أولئك الذين اعتمدوا أول ما اعتمدوا على الذوق السليم ، فأيدوا ما أيدوا ودحضوا ما انكروا ، بمنطق صحيح ورأى سديد ، يستمدون فيه من هذا الذوق ويأتنسون بما ألفه القدماء ، وإذا صح أن كان الكلام عن الثلاثة الأسلاميين ، جرير والفرزدق والأخطل ، كلاما فى الشعر الاسلامى نفسه ، والكلام فى الثلاثة الجاهليين زهير والنابغة والأعشى وعلى رأسهم رأس الشعراء جميعاً امرؤ القيس . كلاما فى الشعر الجاهلى أيضاً . فانه لأصح أن يكون الكلام فى هؤلاء الثلاثة المحدثين ، أبى تمام والبحترى والمتنبى ، كلاماً فى الشعر المحدث ، الذى بحث فى أشعارهم أتم بحث وأقصاه ، لأن دواوينهم قد انتظمت كل خصائص الشعر واشتملت على جميع مزاياه ، وقد

فاضت الموازنة بين بعضهم وبعض ، على أيدى نقاد هذا العصر من الأدباء أكثر مما فاضت بين الثلاثة الأسلاميين وبين الأربعة الجاهليين ، وكما وقعت الموازنة بين هؤلاء وأولئك ، وقعت بين ثلاثتنا المحدثين وبين أولئك وهؤلاء، ومن ثم خصب النقد فى هذا العهد واتسعت آفاقه ، بروح جديدة لنقاده ، لم تعكف على القديم عكوف اللغويين فى العهد الأول، ولم تسلم القياد للمحدث كما فعل بعض العلماء والفلاسفة من نقاد العهد الثانى وبعض نقاد الأول ، وإنما إهتدت فى نقدها بأذواق الأدباء الشعراء ، وأنست بعض الأنس إلى بعض الأدباء من العلماء والفلاسفة غير مقيدة بالعلم وبالأولى بالفلسفة ، فليس للشعر عندهم حدود مرسومة بالألفاظ والمعانى ، كما قال ابن قتيبة ، وليست الفضائل النفسية عندهم بالتى تستأثر بالتفضيل فى المدائح وما إليها ، كما قال قدامة ، وإنما الشعر عندهم ، إصابة معنى وإدراك غرض، فى أسلوب عذب غير متكلف ، ومعان صحيحة سليمة لا استحالة فيها ولا فساد ، وهو مع هذا وذاك لاتأبى صياغته التحلية بالبديع ، كما تشاء المحسنات، ولاالعمق فى المعانى الى الدرجة التى تحتاج الى الغوص ؛ هذا هو الشعر عندهم ، وعليه يبنى جماله ، وبقدر مخالفته لذلك تكون درجة قبحه ، مع إعطاء الأذواق وهى مختلفة حتما باختلاف النقاد حرية هذا الخلاف ، إلى درجة قد يدرك فيها الناقد الحسن أو القبح ولا يعرف كيف يعلل لهذا أو ذاك ، مقدرين فى هذه الناحية ماسبق به ابن سلام الجمحى فى طبقاته ، من أن الشعر صناعة وثقافة ، وأنه فى حاجة إلى معالجة ودربة كسائر الفنون والصناعات ، وأن الشيئين من فرس وجارية وغيرهما ، قد تتجمع فى كليهما كل علامات العتق وكل شرائط الحسن ، ولكن الذوق يفضل أحدهما على الآخر، تفضيلا من شأنه أن ترتفع به عقيرة الناقد ، وأن يخالف بين ثمنيهما مخالفة تبلغ المائة وقد تصل الآلاف . وإذ قد اختص النقد بالأدباء فى هذا العصر ، فقد ترك من اعتادوا الدخول فيه فى العصرين قبله من غيرهما ، ميدانه لهم ، من علماء ولغويين ، هذا ابن خالويه خصيم المتنبي وابن جنى وليه ،لم يدخلا حلبة النقد

كالأدباء ناقدين ، وهذا ابن دريد الضليع فى الشعر وأيام العرب ضلاعته فى اللغة ، وابن الأنبارى الحافظ اللغة والراوى الدواوين ، ليس لهما فى النقد أثر ظاهر ، وكذلك أضرابهما من رجال اللغة وإن كانوا أدباء ، وقد كان من خلو هذا الميدان للنقد فى هذا العهد للأدباء ، وتفرغ الأدباء وحدهم لإجالة النقد فيه ، أن ظهرت به عدة شخصيات من كبار النقاد ، نبدؤها بأبى الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى ، ونختمها بفرسى رهانه أبى الحسن الجرجانى وأبى القاسم الآمدى ، معرجين بينهما فى إجمال على بعض الشخصيات الأخرى .

أولا ـ أبو الفرج الأصفهانى

هو أبو الفرج على بن الحسين ، ينتهى نسبه إلى مروان فأمية ، كانت ولادته بأصفهان سنة ٢٨٠ ووفاته ببغداد سنة ٣٥٦ فهو قد عاش أكثر من سبعين سنة ، وكان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار وغيرها ، مالم يحفظ مثله أحد ، على ما كان له من مشاركة حسنة لكثير من العلماء فى كثير من العلوم ، وله مؤلفات كثيرة جدا ، كلها ينبىء عن غزارة أدبه، وقوة شاعريته ، ولكن أوفاها وأكبرها وأجمعها ،كتاب الاغانى البالغ واحدا وعشرين جزءا ضخاما ، وهو الذى سنستقى منه منابعه فى النقد هنا :ـ

١ ـ كان أبو الفرج من أدق النقاد فى تعرف خصائص الشاعر الذى يترجم له ، وفى الميزات التى توضح شخصيته ، وتحدد كيانه ، كما يظهر ذلك جليا فى صدور التراجم ، واليك نموذجا منها قاله فى صدر ترجمته لأبى العتاهية. « قال الشعر فبرع فيه وتقدم ، ويقال ، أطبع الناس بشار والسيد « يعنى الحميرى » وأبو العتاهية ، وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته، وكان غزير البحر ، لطيف المعانى ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك ، وأكثر شعره فى الزهد والأمثال ، وله أوزان ظريفة قالها مما لم يتقدمه الأوائل فيها » .

فأنت تراه فى هذه الديباجة القصيرة ، قد تعرض للصياغة والفكرة فى أكثر من ناحية لكلتيهما ، كما تعرض للأغراض والمناحى ، ولم يخلها من التعرض للمعايب والمساقط ، وهكذا كان شأنه فى سائر التصديرات .

٢ - عنى عناية مشكورة بعقد الصلة بين الشاعر والشعراء الذين يقع بعضهم من بعض موقع الأساتذة من الطلاب ، يعنى الشعراء الذين تضمهم مدرسة واحدة فى المشارب كما نقول الآن ، حرصا منه على تبين خصائص كل مدرسة ورجالها من مدرسين وتلاميذ ، وأنت تلمح فى الديباجة السابقة ، الجامعة التى ذكر من أجلها بشارا والسيد الحميرى مع أبى العتاهية ، وهو كذلك يعقد صلة بين زهير وأوس قبله وبينه وبين الحطيئة بعده ، ويقول فى سلم الخاسر « وهو راوية بشار بن برد وتلميذه وعنه أخذ ومن بحره اغترف وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر » ، كما يقول فى ترجمة العرجى مشيرا إلى اتحاده فى المذهب الشعرى مع عمر بن أبى ربيعة « كانت حبشية من مولدات مكة ظريفة » ، صارت إلى المدينة ، فلما أتاهم موت عمر بن أبى ربيعة ، اشتد جزعها وجعلت تبكى وتقول ، من لمكة وشعابها وأباطحها ونزهها ، ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن ، ووصف ما فيها ، فقيل لها خفضى عليك فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضى الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه ، يعنون العرجى ، فقالت أنشدونى من شعره ، فأنشدوها فمسحت عينيها وضحكت وقالت ، الحمد لله الذى لم يضيع حرمه » وهكذا .

٣ - تنبه إلى البيئة وأثرها فى شعر الشاعر من زمانية ومكانية ، وإلى سيرة الشاعر وما تعرض له من صحبة ، وإلى مذهبه السياسى ورأيه الدينى ، يذكر أثر ذلك كله فى شعره ، انظر إليه يعرف بأبى دلامة تعريفا يتصل بتلك النواحى فيقول « وهو كوفى أسود مولى لبنى أسد ، كان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه ، وأدرك آخر أيام بنى أمية ، ولم يكن له فى أيامهم نباهة ، ونبغ فى أيام بنى العباس وانقطع إلى أبى العباس وأبى جعفر المنصور والمهدى ، فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره ،

ولم يصل إلى أحد من الشعراء ماوصل إلى أبى دلامة من المنصور خاصة، وكان فاسد الدين ردىء المذهب مرتكبا للمحارم مضيعاً للفروض مجاهراً بذلك، وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله، وكان أول ماحفظ من شعره وأسنيت الجوائز له به، قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم، هى التى يقول فيها :

أبا مسلم خوفتنى القتل فانتحى ... عليك بما خوفتنى الأسد الورد
أبا مسلم ماغير الله نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد

أنشدها المنصور فى محفل من الناس فقال له احتكم قال عشرة آلاف درهم، فأمر له بها، فلما خلا به قال له إيه أما والله لو تعديتها لقتلتك.

٤ — كان كلفا بتحليل الشعر تحليلا يذكر من أجله أخبار السالفين، من شعراء ونقاد ذوقيين، ويقف به على ما يراه الحسن وما يراه القبيح، وإليك فى هذا مثلا رأيناه ذا سعة من أمثال، ذكر عن سائب راوية كثير عزة أنه دخل عليه ومعه عمر بن أبى ربيعة والأحوص ونصيب فى خيمته، قال فوجدناه جالسا على جلد كبش، فوالله ماأوسع للقرشى، فلما تحدثوا ملياً وأفاضوا فى ذكر الشعراء أقبل على عمر فقال له أنت تنعت المرأة فتشبب بها ثم تدعها وتنسب بنفسك، أخبرنى ياهذا عن قولك :

قالت تصدى له ليعرفنا ... ثم اغمزيه ياأخت فى خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ... ثم اسبطرت تشتد فى أثرى
تقولها والدموع تسبقها ... لنفسدن الطواف فى عمر

أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك، ألم تكن قد قبحت وأسأت وقلت الهجر، إنما توصف الحرة بالحياء والأباء والالتواء والبخل والامتناع، كما قال هذا، وأشار إلى الأحوص

أدور ولولا أن أرى أم جعفر ... بأبياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى ... إذا لم يزر لابد أنه سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر ... وإنى إلى معروفها لفقير

قال فدخلت الأحوص أبهة وعرفت الخيلاء فيه ، فلما استبان ذلك منه قال ، أبطل آخرك أولك ، أخبرني عن قولك

فأن تصلى أصلك وإن تبيني بصرمك بعدوصلك لاأبالى
ولا ألفى كمن إن سيم صرما تعرض كى يرد إلى الوصال

أما والله لو كنت فحلا لباليت ولو كسرت أنفك ، ألا قلت كما قال هذا الأسود وأشار إلى نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

قال فانكر الأحوص ودخلت النصيب أبهة ، فلما نظر أن الكبرياء قد دخلته قال له، وأنت يابن السوداء أخبرني عن قولك :

أهيم بدعد ماحييت فان أمت فوا كبدى من ذا يهيم بها بعدى

أهمك من يفعل بها بعدك ، قالها ولا يكنى ، فقال نصيب استوت الفرقة ، وهى لعبة واستواؤها انقضاؤها ، وللحديث بقية طويلة ص١٧ ح ١١

٥ـ وقد تعرض للسرقات الشعرية لماما ، ولكن باسم الأخذ لا السرقة ، ومن شواهد ذلك قوله وقد ذكر عينية على بن جبلة الطويلة المشهورة ، وهى من نادر الشعر وبديعه ، فى رثاء حميد الطوسى ، إنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها ، وقد أخذ البحترى أكثر معانيها فسلخه وجعله فى قصيدتيه اللتين رثى بهما أبا سعيد الثغرى ، انظر إلى العلياء كيف تضام ، و ، بأى أسى تثنى الدموع الهوامل ، ، وقد أخذ الطائى أيضا بعض معانيها ، ولولا كراهة الأطالة لشرحت المواضع المأخوذة ، وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه ، هذا وعينية ابن جبلة هذه هى التى يقول فى مطلعها :

أللدهر تبكى أم على الدهر تجزع وما صاحب الأيام إلا مفجع
ولو سهلت عنك الأسى كان فى الأسى عزاء معز للبيب ومقنع

ثانيا ـ ابن العميد وآخرون

ومن النقاد بعد أبى الفرج ، أبو الفضل بن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

وهو العالم الفيلسوف والأديب الشاعر ، أنشد الصاحب بن عباد بحضرته يوما ، قصيدة أبى تمام التى منها هذا البيت :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا مالمته لمتـــه وحدى

فسأله ألا تجد فى هذا البيت عيباً ، فقال بلى ضعف الطباق بين المدح واللوم ، قال لا . إنما عيبه فى عدم سلامة الحروف من الثقل . وفى التكرار فى أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء مرتين وهما من حروف الحلق ، وذلك مرذول خارج عن حد الاعتدال . وابن العميد فى نظر الصاحب خير النقاد ، ولعله يعنى فى هذه الناحية : ناحية الانسجام بين الحروف فى الكلمة والكلمات فى التركيب ، مع ناحية أخرى هى ناحية الانسجام أيضا ، ولكن بين المعانى والوزن والقافية ، يؤيد هذا من الصاحب قوله حيث يقول « لم أجد فيمن صحبت من يفهم الشعر كما يفهمه ابن العميد ، فانه يتجاوز نقد الأبيات إلى نقد الحروف والكلمات ، ولا يرضى بتهذيب المعنى حتى يطالب بتخير القافية والوزن » ، وقال عن ابن العميد أيضا ، سمعته أيده الله يقول . إن أكثر الشعراء لايدرون كيف يجب أن يوضع الشعر ويبتدأ النسج ، لأن حق الشاعر ، أن يتأمل الغرض الذى قصده والمعنى الذى اعتمده ، وينظر فى أى الأوزان يكون أحسن استمرارا ومع أى القوافى يحصل أجمل اطراد .

ومنهم الصاحب بن عباد المذكور مؤلف الرسالة المسماة « الكشف عن مساوى المتنبى ، وهو ظاهر التعصب عليه فيها ، إذ وقع أكثر ماوقع منه عن هوى وغرض . وما جاء فيها عن غير الهوى والغرض لم يكن فيه من جديد ، وإنما هو مما شاع على ألسنة المحدثين من ذكر أشياء من شعر المتنبى تمثل التعقيد والركاكة والاستكراه والغموض وغيرها ، مما وقع فيه المتنبى ، وإن كان بالنظر إلى مجموع شعره يعد من الهنات الهينات .

ومنهم أبو على الحاتمى الذى ألف رسالة سماها « الموضحة فى مساوى المتنبى » ، وأخرى فيه أيضاً عن حكمه وما وافق فيها أرسطاطاليس بقصد الغض منه كذلك .

ثم منهم أبو الحسن بن لنكك ، وقد ولع بثلب المتنبي كصاحبيه المذكورين .

ثالثا ــ الآمدى والجرجانى

الآمدى هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، كان من أهل البصرة وفيها تلقى النحو واللغة عن الأخفش الأصغر على بن سليمان ، ومن بعده على الزجاج وابن دريد ، وقد نشأ محبا للادب مولعا بالشعر ونقده، ومن أهم كتبه فى ذلك كتاب المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء ، وكتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، وهو منسوب إلى آمد من أشهر مدن الجزيرة على الفرات وكانت وفاته سنة ٣٧٠

والجرجانى هو أبو الحسن على بن عبد العزيز قاضى الرى أيام الصاحب بن عباد ، وكان أديبا مبرزا وشاعراً مجيدا وكاتبا قديراً ، تتلمذ عليه كثير، أهمهم عبد القاهر الجرجانى الذى سنتكلم عنه بعد ، وهو صاحب كتب كثيرة منها كتاب تهذيب التاريخ وقد نقل عنه الثعالبى فى اليتيمة وكتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه الذى ألفه عقب تحامل الصاحب فى رسالته السابقة على المتنبى ، وقد عرف بالتطواف فى الأقطار الاسلامية إذ ذاك ، وكانت وفاته سنة ٣٩٢ .

والذى يعنينا من الآمدى والجرجانى ، هو التعرض لنقدهما ، الأول فى كتابه الموازنة والثانى فى كتابه الوساطه ، على أنهما علما الأدب النقدى فى العهد الذى نحن فيه .

١ - الآمدى فى كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى :

بدأ الآمدى كتابه هذا بقوله « هذا ماحثثت ـ أدام الله لك العز والتأييد والتوفيق والتسديد ـ على تقديمه من الموازنة بين أبى تمام بن أوس الطائى وأبى عبادة الوليد بن عبيد الله البحترى فى شعريهما ، وقد رسمت من ذلك

ماأرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة ، وأحسن فى اعتماد الحق وتجنب الهوى المعونة منه برحمته » .

وبعد أن ذكر إجمالا رأى من يفضلون أبا تمام ، ورأى من يفضلون البحترى ، ورأى من يسوون بينهما ، أعلن عن رأيه فقال « ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندى ، لتباين الناس فى العلم واختلاف مذاهبهم فى الشعر ، ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فيستهدف لذم أحد الفريقين ، لأن الناس لم يتفقوا على أى الأربعة أشعر ، فى امرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والأخطل، ولا فى بشار ومروان، ولا فى أبى نواس وأبى العتاهية ومسلم ، لاختلاف آراء الناس فى الشعر وتباين مذاهبهم فيه ، فان كنت ، أدام الله سلامتك ـ ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة ، وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق ، فالبحترى أشعر عندك ضرورة، وإن كنت تميل إلى الصنعة، والمعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة . ولا تلوى على غير ذلك ، فأبو تمام أشعر عندك لا محالة ، فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكنى أقارن بين قصيدتين من شعرهما . إذا اتفقتا فى الوزن والقافية ، وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، فأقول ، أيهما أشعر فى تلك القصيدة وفى ذلك المعنى ، ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد والردىء ، وأنا أبتدىء بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى عند تخاصمهم ، فى تفضيل أحدهما على الآخر ، وما ينعاه بعض على بعض ، لتتأمل ذلك ، وتزداد بصيرة وقوة فى حكمك إن شئت أن تحكم ، وفى اعتقادك فيما لعلك تعتقد » قال ذلك، ثم بدأ يذكر وجوها من هذا الاحتجاج تحت عنوان « قال صاحب أبى تمام » « وقال صاحب البحترى » حتى أنهى فى ذلك أحد عشر احتجاجا مزدوجا ، لم تترك فيما قيل لكل من الشاعرين وعليه شيئاً ، إذ استغرقت نحو العشرين صفحة من الكتاب ، وبعدها أخذ يبين ماسيعرض له

فى الكتاب من موضوعات فقال « ثم احتجاج الخصمين بحمد الله ، وأنا أبتدىء بذكر مساوى هذين الشاعرين لأختم بذكر محاسنهما ، فأذكر طرفاً من سرقات أبى تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره، وآخرمن مساوى البحترى فى أخذ ماأخذه من معانى أبى تمام وغيره ، وغير ذلك من غلطه فى بعض معانيه وألفاظه ، وأوازن من شعريهما ، بين قصيدتين إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، فان محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك وتنكشف ، ثم أذكر ماانفرد به كل واحد منهما لحوز من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه وبابا للأمثال أختم بهما الرسالة ، وأتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما وأجعله مؤلفا على حروف المعجم ، ليقرب متناوله ويسهل حفظه وتقع الأحاطة به إن شاء الله تعالى »

هذا هو الفهرس الذى رسمه لنفسه كى يسير عليه ولكن مما يؤسف له : أن طابعى الكتاب للمرة الأولى فى مصر وقفوا به فى الطبع ،معزعمهم التمام، عند نهاية الموازنة . فأما باب انفراد كلا الشاعرين بما انفرد بهمن معان دون صاحبه ، وباب ماوقع فى شعريهما من التشبيه ، وباب ماوقع فيه من أمثال ، ثم باب الاختيار المجرد من شعريهما مؤلفا على حروف المعجم ، فلم تتناوله تلك الطبعـــة . ومما يؤسف له أكثر أن الذين تعرضوا لطبعه المرة الثانية دون هؤلاء تحت إشراف أحد الأساتذة ، وقفوا عند هذا الحد أيضا ، مع أن الكتاب مخطوط كاملا فى دار الكتب ، ومن أصح مخطوطاته وأوضحها ،نسخة فى مكتبة المغفور له أحمد تيمور باشا . وعلى ذلك يكون كلام الآمدى فى الجزء المطبوع ، قصرا على البابين الأولين ، وهما باب السرقات والاحالات فى المعانى والغلط فى الألفاظ ، وباب الموازنات بين القصيدتين المتفقتين وزنا وقافية ، وبين المعنيين المتحدين ،على أن الآمدى حين انتهى إلى القول فى الموازنات ، قصره عليها بين المعنيين المتفقين ، وعدل

عن الموازنة بين القصيدتين المتحدتين وزنا وقافية ، لأن الاتفاق فى المعنى هو الأس الصالح للمقارنة ، وهذا قوله فى ذلك ، وقد انتهيت الآن الى الموازنة ، وكان من الرأى أن أوازن بين البيتين أو القطعتين ، إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ولكن هذا لايكاد يتفق مع اتفاق المعانى ، التى إليها المقصد وهى المرمى والغرض ، وبالله أستعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى ، وترك التحامل ، فانه جل اسمه حسبى ونعم الوكيل » . وعلى هذا يكون ماتعرض له راجعاً إلى السرقة ، وإلى الأحالة فى المعانى للغلط فى الألفاظ ، فالى الرذل من ألفاظه والقبيح من استعاراته ، والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه ثم إلى الموازنة بين المعنيين المتفقين ، مما تعرض له الآمدى فى الجزء المطبوع ، وهو كفيل أن يرينا عظيم جهده وبالغ قدره فى النقد.

السرقة :

قال الآمدى فى التصدير لسرقات أبى تمام « كان أبو تمام مشتهرا بالشعر شغوفا به ، مشغولا مدة عمره بتخميره ودراسته ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة » وبعد أن عدد من هذه الاختيارات ستة أحدها المعروف باسم ديوان الحماسة وهو أشهرها وليس أكبرها قال « وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وأنه أشغل به وجعله وكده ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه ، فانه ما من شىء كبير من شعر جاهلى ولا إسلامى ولا محدث - إلى عهده - إلا قرأه واطلع عليه ، ولهذا أقول إن الذى خفى من سرقاته أكثر مما قام منها على كثرته ، وأنا أذكر ماوقع الى فى كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا منها واستخرجته ، فان ظهرت بعد ذلك منها على شىء ألحقته بها إن شاء الله » ثم أخذ عقب هذا يعدد سرقاته من معانى الجاهليين والاسلاميين والمحدثين وأحيانا بنفس ألفاظهم أو بعضها حتى جاوز المائتين ، وهذى أمثلة ثلاثة متنوعة على ماسبق مما ذكر .

قال النابغة يصف يوم الحرب :

تبدو كواكبه والشمس طالعة ... لاالنور نور ولا الأظلام إظلام

أخذه الطائى فقال وذكر ضوء النهار وظلمة الدخان فى الحريق الذى وصفه

ضوء من النار والظلماء عاكفة ... وظلمة من دخان فى ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت ... والشمس واجبة من ذا ولم تجب

وقال جرير فى العيون :

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك له ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

فأخذه أبو تمام فجعله فى الخمر فقال :

وضعيفة فاذا أصابت فرصة ... قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء

وقال أبو العتاهية :

وإنا إذا ما تركنا السؤا ... ل فيه فلم نبده يبتدينا

وإن نحن لم نبغ معروفه ... فمعروفه أبدا يبتغينا

وقال مسلم بن الوليد فى معنى بيت أبى العتاهية الأول :

أخ لى يعطينى إذا ما سألته ... ولو لم أعرض بالسؤال ابتدانيا

أخذ أبو تمام معنى هذا البيت ومعنى بيت أبى العتاهية الأول فقال :

ورأيتنى فسألت نفسك سيبها ... لى ثم جدت وما انتظرت سؤالى

أو لعله أخذه من قول منصور النمرى :

رأيت المصطفى هرون يعطى ... عطاء ليس ينتظر السؤالا

وأجود من هذا كله قولى سلم الخاسر :

أعطاك قبل سؤاله ... فكفاك مكروه السؤال

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبى العتاهية الثانى فقال :

كالغيث إن جئته وافاك ريقه ... وإن تحملت عنه كان فى الطلب

وبعد أن أكمل ذلك العدد من السرقات وزاد ، قال «وقد سمعت أبا على محمد بن العلاء السجستانى يقول عن أبى تمام وسرقاته ، إنه ليس له معنى انفرد به فاخترعه إلا ثلاثة معان ، وهى قوله :

تأبى على التصريد الا نائلا الا يكن ماء قراحا يمزق
نزرا كما استكرهت عابر نفحة من فأرة المسك التى لم تفتق

وقوله

بنى مالك قد نبهت خامل الثرى قبور لكم مستشرفات المعالم
رواقد قيد الكف من متناول وفيها علا لا يرتقى بالسلالم

وقوله

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

قال الآمدى ، ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو على ، بل أرى أن له على كثرة مآخذه من أشعار الناس ومعانيهم ، مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة ، وأنا أذكرها عند ذكر محاسنه إن شاء الله تعالى ، ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقات من كبير عيوبه لأنه باب ما تعرى منه أحد من الشعراء إلا القليل ، بل الذى وجدتهم ينعونه عليه ، كثرة غلطه وإحالته فى المعانى والألفاظ » .

الغلط والأطالة

وقال فى التصدير لهذا الذى ينعاه عليه المنحرفون عنه من كثرة غلطه وإحالته فى المعانى والألفاظ ، « وتأملت الأسباب التى أدته إلى ذلك فاذا هى ما رواه أبو عبد الله محمد بن داود الجراح ، عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن أحمد ، أن أبا تمام يريد البديع فيخرج إلى المحال ، وهذا نحو ما قاله أبو العباس عبد الله بن المعتز فى كتابه الذى ذكر فيه البديع ، وكذلك ما رواه محمد بن داود عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه ، من أنَ أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، وأن أبا تمام تبعه فسلك فى البديع مذهبه فتحير فيه ، كأنهم يريدون إسرافه فى طلب الطباق والتجنيس والاستعارات وتوشيح شعره بها ، حتى صار كثير مما أتى به من المعانى لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها ، إلا مع الكد والفكر وطول التأمل ، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحدس » إلى أن قال « وأنا الآن أذكر ما غلط فيه أبو تمام من

المعانى والألفاظ مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة ، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته ، بعد أن أسقطت منه كل ما احتمل التأويل ودخل تحت المجاز ولاحت له أدنى علة ،

قال ذلك ثم ساق لما قال أكثر من ثلاثين مثلا سود فى التعليق على بعضها أكثر من سبع صفحات ووقف فى بعضها عند الصفحة أو أقل منها ،

وهاك ثلاثة أمثلة لهذا النوع الذى أقل فيه أو توسط .

قال ، ومن خطئه فى المدح قوله :

سأحمد نصراً ما حييت وإننى لأعلم أن قد جل نصر عن الحمد

فانه رفع الممدوح عن الحمد الذى ندب الله عباده إليه بأن يذكروه به وينسبوه إليه ، وافتتح فرقانه فى أول سورة بذكره وحث عليه ، وللعرب فى ذكر الحمد ماهو كثير فى كلامها وأشعارها ، مافيهم من رفع أحدا عن أن يحمد ، ولا من استقل الحمد للمدوح

قال زهير بن أبى سلمى .

منصرف للمجد مقترف للرزء نهاض إلى الذكر

أى حيثما رأى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها ، وقال زهير أيضاً

أليس بفياض يداه غمامة ثمال اليتامى فى السنين محمداً

فقوله محمداً أى يحمد كثيراً ، وقال الأعشى

ولكن على الحمد إنفاقه وقد يشتريه بأغلى الثمن

وقال أيضا

إليك أبيت اللعن كان كلالها إلى الماجد الفرع الجواد المحمد

فوصفه بأن جعله محمداً أى يحمد كثيراً ، وقال آخر « يعنى الحطيئة »

تزور فتى يعطى على الحمد ماله ومن يعط أثمان المحامد يحمد

فهذه هى الطريقة المعروفة فى كلام العرب . ولو قال الطائى ، لوجل أحد عن المدح لجللت عنه ، كان أعذر له . كما قال البحترى :

لو جل خلق قط عن أكرومة تبنى جللت عن الندى والباس

أى كنت تجل لعلو شأنك عن أن يقال سخى أو شجاع ، إذ كان هذان الوصفان قد يوصف بهما من هو دونك ، وقال البحترى أيضاً :

والحمد أنفس ما تعوضه امرؤ   رزىء التلاد إن المرزأ عوضا

فأما قول البحترى :

كيف تثنى على ابن يوسف لا   كيف ، سرى مجده فعاب الثناء

فعيبهُ الثناء ، إنما معناه ، عظم أن يدركه ويبلغ حده ، ألا تراه قال « كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف » أى لا طريق إلى كيف الثناء الذى يستحقه ويليق به ، ثم قال « سرى مجده فعاب الثناء » قطعاً من الكلام الأول: ومن خطئه قوله :

وأرى الأمور المشكلات تمزقت   ظلماتها عن رأيك المتوقد
فبسطت أزهرها بوجه أزهر   وقبضت أربدها بوجه أربد

فقال « الأمور المشكلات » وجعل لها ظلمات ، فكيف يقول فبسطت أزهرها ، والزهر هى النيرات ، والمشكلات لا يكون شىء فيها نيراً ، وكأنه يريد أن الأمور المشكلة منها جيد قد أشكل الطريق اليه ، ومنها ردىء قد جهلت أيضاً حاله ، فهى كلها مظلمة ، فيمزق ظلماتها برأيه ويكشف عن الجيد منها ويبسطه أى يستعمله ، ويكشف عن رديها ويقبضه أن يكفه ويطرحه ، ولكن ما كان ينبغى له أن يقول بوجه أزهر وبوجه أربد ، لأنه لا ضوء هاهنا للوجه ولا تأثير ، فان الصنع إنما هو للرأى وللعقل . فاذا رأى ذو الرأى أن يفتح أمراً مغلقاً واستبان منه الأشياء المظلمة وانفتحت المغلقة ، أو رأى أن يغلق أمراً مفتوحا إذا كان الصواب موجباً ذاك عنده كان ذلك له ، فالرأى على الأحوال كلها أزهر مسفر ، والوجه على الأحوال كلها أبيض ، وليس يريد أبيض فى لونه ، والعاجز إذا ورد عليه الأمر يبهظه ، تبينت الكآبة فى وجهه ، ولله در منصور النمرى حيث يقول :

يرى ساكن الأوصال باسط وجهه   يريك الهوينى والأمور تطير

فقال « ساكن الأوصال باسط وجهه » فدل على قلة اكتراثه بالأمور

التي ترد عليه ، وقول أبي تمام « بوجه أربد » لا معنى له لأنه من صفات الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه وهو عندى فى ذلك غالط وفى ذلك مسيء .

ومن خطئه قوله :

ومشهد بين حكم الذل منقطع صاليه أو بحبال الموت متصل
جليت والموت مبد حر صفحته وقد تفرعن فى أفعاله الأجل

قوله « بين حكم الذل » لو كان حكم الذل أشياء متفرقة لصحت فيها بين ، غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة ، وكذلك حكم العز والعز ، فكما لايقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز إلا أن يقال وكذا ، لأن بين إنما هى وسط بين شيئين ، فان قيل ، حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب الحرب ومن يصلاها ، فكأنه ذهب بقوله بين إلى معنى وسط ، أى مشهد وسط حكم الذل ، قيل وسط لا يحل محل بين ، وبين لا يحل محل وسط ، لأنك تقول ، البئر وسط الدار ولا تقول البئر بين الدار ، وتقول المال بيننا نصفان ولا تقول المال وسطنا نصفان ، والمعنى الذى بنى أبو تمام البيت عليه ، سياق لفظه أن يقول ومشهد بين حكم الذل وحكم العز ، أى ومشهد بين الذل والعز ، محجم من يصلاه وهو الذليل أومقدم وهو العزيز ، جليته وكشفته ، يعنى الممدوح ، فحذف أحد القسمين الذى لايصلح بين إلا به مع القسم الآخر ، وجعل قوله منقطع فى موضع محجم ، ومتصل فى موضع مقدم ، وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع ، وقد أغراه الله بوضع الألفاظ فى غير مواضعها ، من أجل الطباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به ، وقوله « وقد تفرعن فى أفعاله الأجل » معنى فى غاية الركاكة والسخافة ، وهو من ألفاظ العامة ، وما زال الناس يعيبونه ويقولون اشتق للأجل الذى هو مطل على كل النفوس فعلا من اسم فرعون ، وقد أتى الأجل على نفس فرعون ، وعلى نفس كل فرعون كان فى الدنيا .

الرذل والقبيح من الألفاظ والاستعارات :ـ

وقال فى التصدير للرذل من ألفاظه والقبيح من استعاراته ، والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه « قد ذكرت فى الجزء الأول من كتاب الموازنة سرقات أبى تمام ، وذكرت فى الثانى إحالته فى المعانى لخطئه فى الألفاظ ، وأنا أذكر فى هذا الجزء الثالث ، الرذل من ألفاظه والقبيح من استعاراته والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه ، على ما رأيت فى أشعار المتأخرين ، يتذاكرونه وينعونه عليه ويعيبونه به ، وعلى أنى وجدت لبعض ذلك نظائر فى أشعار المتقدمين فعلمت أنه بذلك اغتر وعليه فى العذر اعتمد ، طلبا منه للاغراق والإبداع ، وميلا إلى وحشى المعانى والألفاظ ، وإنما كان يندر من هذه الأنواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن ، البيت أو البيتان يتجاوز له عن ذلك ، لأن الأعرابى لايقول إلا عن قريحته ولا يعتصم إلا بخاطره ولا يستقى إلامن قلبه ، وأما المتأخر الذى يطبع على قوالب ، ويحذو على أمثلة ، ويتعلم الشعر تعلما ، ويأخذه تلقنا ، فمن شأنه أن يتجنب المذموم ولا يتبع من تقدموه إلا فيما استحسن منهم واستجيد لهم واختير من كلامهم ، أو فى المتوسط السالم إذا لم يقدر على الجيد البارع ، ولا يوقع الاحتطاب والاستكثار مما جاء منهم نادراً ومن معانيهم شاذا، ويجعله حجة له وعذراً ، فان الشاعر قد يعاب أشد العيب إذا قصد بالصنعة سائر شعره ، وبالابداع جميع فنونه ، لأن مجاهدة الطبع ومغالبة القريحة ، مخرجة سهل التأليف إلى سوء التكلف وشدة التعمل ، كما عيب صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره ، لأن لكل شىء حدا إذا تجاوزه المتجاوز سمى مفرطا ، وما وقع الافراط فى شىء إلا شانه وأعاد إلى الفساد صحته ، وإلى القبح حسنه وبهاءه ، فكيف إذا تتبع الشاعر مالا طائل فيه من لفظة شنيعة لمتقدم ، أو معنى وحشى ، فجعله إماما واستكثر من أشباهه ووشح شعره بنظائره ، إن هذا لعين الخطأ وغاية فى سوء الاختيار ،

قال ذلك ثم أخذ يسوق أمثلة لكل تلك الأنواع ، ويعلق عليها مطيلا أو مقصراً ، وهذا بعض ماساق ،

قال عن قبح الاستعارة،فن مرذول ألفاظه وقبيح استعاراته قوله :

يا دهر قوم أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

فجعل كما ترى مع غثاثة الألفاظ للدهر أخدعين ، وأى ضرورة دعته اليهما ، وكان يمكنه أن يقول قوم من اعوجاجك أو من تعوج صنعك أى أحسن بنا الصنيع ، لأن الاخرق هو الذى لا يحسن العمل وضده الصنع ، وهذه استعارة فى غاية القباحة والهجانة والبعد من الصواب ، وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أويشبهه فى بعض أحواله ، أو كان سببا من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذى استعيرت له وملائمة لمعناه ، وقد أوصل الامثلة فى هذا إلى الثلاثين .

وقال عن قبح التجنيس ، ورأى أبو تمام المجانس من اللفظ شرفا فى أشعار الأوائل ، وهو ما اشتق بعضه من بعض ، وكان يأتى منه فى القصيدة، البيت الواحد والبيتان ، على حسب ما يتفق للشاعر ويحضر فى خاطره ، فبنى أكثر شعره عليه ، فلو كان قلل منه واقتصر على مثل قوله « ياربع لو ربعوا على ابن هموم » وقوله « أرامة كنت مألف كل ريم » وقوله « يابعد غاية دمع العين إن بعدوا » وأشباه هذا من الالفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى ، لكان قد أتى بالغرض وتخلص من الهجنة والعيب ، فاما أن يقول :

قرت بقران عين الدين وانشترت بالأشترين عيون الشرك فاصطلما

فانشتار عيون الشرك فى غاية الغثاثة والقباحة ، وأيضاً فان انشتار العين ليس بموجب للاصطلام ، وبعد أن ذكر من هذا النوع خمسة أبيات قال ، وقد عابه ابن المعتز ببعض هذه الأبيات فى كتابه البديع لقبح التجنيس .

وقال عن مستكره الطباق ، ورأى الطباق فى أشعار العرب فأكثر وتكلف ولو اقتصر على ما اتفق له فى هذا الفن من حلو اللفظ وصحيح المعنى كقوله « نثرت فريد مدامع لم تنظم » وتجنب مثل قوله :

قد لان أكثر ماتريد وبعضه خشن وأنى بالنجاح لواثق
ونحوه مما يكثر إن ذكرته لسقط أكثر ماعيب عليه فيه .

وقال عن سوء النظم ، وهذا باب فى سوء نظمه وتعقيد ألفاظ نسجه ووحشيها ، وأنا أذكر هنا ما اليه قصدت من سائر مافى شعر أبى تمام من هذه الأنواع وهى كثيرة ، وأورد من كل نوع قليلا يستدل به على الكثير ، فأقول ،

فن معاظلة أبى تمام وهى مداخلة الكلام بعضه فى بعض وركوب بعضه لبعض قوله

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا عنه فلم يتخون جسمه الكمد

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت وهى سبع كلمات آخرها قوله «عنه» ماأشد تشبث بعضها ببعض وما أقبح مااعتمده من إدخال ألفاظ فى البيت من أجل مايشبهها وهى قوله خان وخان ويتخون ، وقوله أخ وأخا ، فاذا تأملت المعنى وما أفسده من اللفظ لم تجد له حلاوة ولا فيه كبير فائدة ، لأنه يريد « خان الصفاء أخ خان الزمان أخا من أجله إن لم يتخون جسمه الكمد» وبعد أن أورد ثلاثة أبيات أخرى قال، فاذا تأملت شعره وجدت أكثره مبنيا على مثل هذا وأشباهه ، وقد ذكرت من هذه الأمثلة فى شعره مادل على سواها .

ومن الحوشى الذى كان يتتبعه ، ويتطلبه ويتعمد إدخاله فى شعره قوله

أهيس أليس لجـــاء إلى همم تغرق الأسد فى آذيها الليســـا

يريد بالأهيس الخفيف اللحم وبالأليس الشجاع البطل ، وهاتان لفظتان مستكرهتان إذا اجتمعتا ، ومع ذلك لم يقنع بهما حتى قال فى آخر البيت الليس ثانية ،

ومما كثر فى شعره من الزحاف واضطراب الوزن قوله:

وأنت بمصر غايتى وقرابتى بها وبنو أبيك بنو أبى

وهذا من أبيات النوع الثانى من الطويل ووزنه فعولن مفاعيلن وعروضه وضربه مفاعلن ، فحذف نون فعولن من الأجزاء الثلاثة الأول ، وحذف

الياء من مفاعيلن التى فى المصراع الثانى، وذلك كله يسمى مقبوضا لأنه حذف خامسه ، وبعد أن ذكر ستة أبيات أخرى ، قال وهذه الزحافات جائزة فى الشعر غير منكرة إذا قلت ، أما إذا جاءت فى بيت واحد فى أكثر أجزائه فانها تكون نهاية القبح ، ويكون البيت بالكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون ، ثم قال ومثل هذه الأبيات فى شعره كثير إذا أنت تتبعته، ولا تكاد ترى فى أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر ، من هذا الجنس شيئا .

معايب البحترى :

وبعد أن انتهى من أبى تمام إلى ماذكرنا ، قال « ولما كنت خرجت مساوى أبى تمام ، وابتدأت بسرقاته . وجب أن أبتدىء من مساوى البحترى بسرقاته ، فانه أخذ من معانى من تقدم من الشعراء ومن تأخر أخذا كثيراً، حكى أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح أن ابن أبى طاهر أعلمه « أنه أخرج للبحترى ستمائة بيت مسروق، منها ما أخذه من أبى تمام خاصة مائة بيت » فكان ينبغى ألا أذكر السرقات فيما أخرجه من مساوى هذين الشاعرين ، لأنى قدمت القول فى أن من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوى الشعراء وخاصة المتأخرين ، إذ كان هذا بابا ماتعرى منه متقدم ولا متأخر ، ولكن أصحاب أبى تمام ادعوا أنه أول سابق وأنه أصل فى الابتداع والاختراع ، فوجب إخراج مااستعار من معانى الناس ، ووجب من أجل ذلك إخراج ما أخذه البحترى أيضا من معانى الشعر ، ولم أستقص باب البحترى ولا قصدت الاهتمام إلى تتبعه ، لأن أصحابه ما ادعوا ما ادعاء أصحاب أبى تمام ، بل استقصيت ماأخذه من أبى تمام خاصة ، إذكان من أقبح المساوى ، أن يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء، فيأخذ من معانيه ولو كان عشرة أبيات ، فكيف والذي أخذه البحتري من أبى تمام يزيد على مائة بيت ، فأما مساوى

البحترى من غير السرقات فقد دققت واجتهدت أن أظفر له بشىء يكون بأزاء ماأخرجته من مساوى أبى تمام فى سائر الأنواع التى ذكرتها ، فلم أجد فى شعره — لشدة تحرزه وجودة طبعه وتهذيبه ألفاظه — من ذلك إلا أبياتا يسيرة أنا أذكرها عند الفراغ من سرقاته .

قال ذلك ثم أخذ يعدد سرقات البحترى من غير أبى تمام فبلغ بها نحو الثلاثين وقال ، فهذا ما مر بى من سرقات البحترى من أشعار الناس على غير تتبع ، ولعلى لو استقصيتها لكانت نحو ماخرجته من سرقات أبى تمام وتزيد عليها ، ثم قال ، وهذا ماأخذه البحترى من معانى أبى تمام خاصة مانقلته من صحيح ماخرجه الضياء بشر بن تمام الكاتب ، لأنه استقصى ذلك استقصاء بالغ فيه حتى تجاوز إلى ماليس بمسروق فكفا مئونة الطلب . وذكر عقب ذلك نيفا وستين سرقة ، تاركا من المائة التى عددها أبو الضياء نيفا وثلاثين لم يعدها من السرقة ، إما لأنها من المعانى المشتركة بين الناس ، الجارية فى عاداتهم والمستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يورده أن يقال أخذه من غيره ، وإما لأنها لاتناسب ولا تقارب بين المعنيين فيها وليس إلا اتفاق وألفاظ ليش مثلها مما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر ، إذ كانت الألفاظ مباحة غير محظورة ، ومثل لذلك بالنيف والثلاثين المذكورة ، وهذى أمثلة لكل نوع مما ذكر .

فما أخذه من غير أبى تمام قوله :

قوم ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتمان

وهو مأخوذ من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

الضاربين بكل أبيض مرهف والطاعنين مجامع الأضغان

إلا أن قول عمرو فى غاية الجودة والاصابة ، لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فاذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب .

ومما أخذه من أبى تمام قوله :

قوم إذا لبسوا الدروع لموقف لبسوا من الإحسان فيه دروعا

أخذه من قول أبى تمام

وتلبس أخلاقا كراما كأنها   على العرض من فرط الحصانة أدرع

ومما لم يعده الآمدى سرقة لتداول معناه قول البحترى

وأيامنا فيك اللواتى تصرمت   مع الوصل أضغاث وأحلام نائم

على أنه مأخوذ من قول أبى تمام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها   فكأنها وكأنهم أحلام

أنكر على أبى الضياء عد هذا سرقة فقال « وكأنه ماسمع الناس يقولون ماكان الشباب إلا حلما وما كانت أيامه إلا نومة نائم »

ومما لم يعده سرقة لعدم تناسب المعنى وتقاربه ، مع الاتحاد فى بعض الألفاظ قوله

ومبجل وسط الرجال خفوقهم   لقيامه ، وقيامهم لقعوده

أنكر على أبى الضياء عد هذا مأخوذا من قول أبى تمام

إذا شب نارا أقعدت كل قائم   وقام لها من خوفة كل قاعد

وقال « ليس أحد المعنيين من الآخر فى شىء لأن أبا تمام أراد أن الممدوح إذا شب نار الحرب أقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته خوفا وفرقا ، وأزالت كل قاعد عن الطمأنينة والقرار فقام منزعجا ، والبحترى إنما ذكر أن الرجال يخفون لقيام ممدوحه أى يسرعون بين يديه إذا قام، فاذا قعد قاموا له إجلالا وهيبة ، لأن من شأنه ألا يجلس أحد بجلوسه وأن يكون الناس كلهم قياما إذا جلس ، والمعنيان مختلفان وليس بينهما اتفاق إلا فى ذكر القيام والقعود والألفاظ مباحة :

وقد عد من أخطائه فى المعانى عشرين مثلا سود فى التعليق على بعضها ثلاث صفحات ، منها قوله :

قف العيس قد أدنى خطاها كلالها   وسل دار سعدى إن شفاك سؤالها

قال الآمدى هذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد ، لأنه قال قد أدنى خطاها كلالها أي قارب من خطوها الكلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال

الدار التى تعرض لأن يشفيه سؤالها ، وإنما وقف لأعياء المطى ، والجيد قول عنترة لأنه لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بأن شبه ناقته بالقصر فقال :

فوقفت فيهـــا ناقتى وكأنها فدن لأقضى حاجة المتلوم

قال ذلك ليعلم أنه لم يقف بها ليريحها .وقد كشف عن هذا المعنى ذوالرمة فأحسن وأجاد حيث قال :

أنخت بها الوجناء لامن سآمة لثنتين بين اثنين جاء وذاهب

فان قيل فأنما قال قد أدنى خطاها كلالها ليعلم أنه قصد الدار من شقة بعيدة ، قيل العرب لاتقصد الدار للوقوف عليها وانما تجتاز بها فان كانت على سنن الطريق قال لصاحبه قف ، وإن لم تمكن عليه قال عج أى عرج

ومما عيب عليه من التعسف والتعقيد فى اللفظ قوله

فتى لم يمل بالنفس منه عن العلا الى غيرها شىء سواه يميلها

فان الضمير فى سواه يعود على فتى أى سواه من الأشخاص هو الذى يميل نفسه عن العلا، لا على شىء الذى هو فاعل يميل وعلى سلامة البيت بهذا التخريج من عيب اللحن لم يسلم من عيب التعسف ، قال الآمدى ولست أعرف بيتا تعسف فى نظمه غير هذا

قال ومن ردىء التجنيس وقبيحه قوله

أمنا أن تصرع عن سماح وللآمال فى يدك اصـــطراع

يقول أمنا أن يغلبك غالب يصرعك عن السماح ويمنعك منه وللآمال فى يدك اصطراع،أى تنافس وتغالب فى ازدحام ،وقوله فى يدك لأن العطاء اليها ينسب .

وقال عن اضطراب الوزن فى شعر البحترى ، وقد جاء فى شعره بيت هو عندى أقبح من كل ماعيب به أبو تمام فى هذا الباب وهو قوله :

ولماذا تتبع النفس شيئا جعل الله الفردوس منه بواء

قال كذلك وجدته فى أكثر النسخ وهو خارج عن الوزن لأنه الأول من الخفيف الذى وزنه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين، دخله كثير من الزحاف بالحذف كما دخله الاكتفاء حيث زيد فيه سبب خفيف هو هاء الله ولام الفردوس، . وأخيراً قال وما رأيت شيئا مما عيب به أبو تمام الا وجدت فى شعر البحترى مثله، الا أنه فى شعر أبى تمام كثير وفى شعر البحترى قليل.

الموازنة بين الطائيين : —

قال الآمدى، وأنا أذكر بأذن الله الآن فى هذا الجزء، المعانى التى يتفق فيها الطائيان فأوازن بين معنى ومعنى وأقول أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه، فلا تطلبنى أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الاطلاق، فانى غير فاعل ذلك، لأنك إن قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد، وإن طالبت بالعلل والأسباب التى أوجبت التفضيل فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمى من نعت مذهبيهما وذكر مطلوبيهما، فى سرقة معانى الناس وفى إحالتهما وغلطهما فى المعانى والألفاظ، وإساءة من أساء منهما فى الطباق والتجنيس والاستعارة ورداءة النظم واضطراب الوزن، وغير ذلك مما اوضحته فى مواضعه وبينته وما سيعود ذكره فى الموازنة من هذه الأنواع على مايقوده القول وتقتضيه الحجة، وماستراه من محاسنهما وبدائعهما وكيف أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما فى الأشعار التى أرتبها فى الأبواب وأنبه على الجيد وأفضله على الردى وأبين الردى وأرذله، وأذكر من علل الجميع ماينتهى اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى مالم يمكن إخراجـــه الى البيان وإظهاره إلى الاحتجاج، وهو علة مالا يعرف الا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة، وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة، من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج، وإلا لايتم ذلك،

وأكللك بعد هذا الى اختيارك وما تقضى عليه فطنتك وتمييزك ، فينبغى أن تتم النظر فيما يرد عليك ، ولن ينتفع بالنظر الا من يحسن أن يتأمل ، ومن إذا تأمل علم ومن إذا علم أنصف . ثم بعد ذلك أخذ يفصل القول فى علم الشعر وأنه فن يحتاج إلى استعداد ودربة كسائر الفنون ، وأن منه ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة ، وأن نهاية البصيرة فيه معرفة هذه الصفة أو الوقوف عند تلك الاحاطة ، وشرع فى تطبيق ذلك على محاسن أبى تمام تارة وعلى محاسن البحترى أخرى ، وقال بعد ذلك التفصيل الذى استغرق ست صفحات ، وأنا أجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر : زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لاتجود وتستحكم إلا بأربعه أشياء ، جـــودة الآلة ، وإصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف والانتهاء إلى نهاية الصفة من غـير نقص منها ولا زيادة عليها ، ثم شرح ذلك فى أكثر من صفحة ، وبعد الشرح دخل فى الموازنة فقال ، وأنا أبتدىء باذن الله منها بذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والأطلال ، والسلام عليها وتعفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ، والدعاء بالسقيا لها والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش ، وفى تعنيف الصحب على لومهم على الوقوف بها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها ، وأقدم من ذلك ابتداءات قصائدهم فى هـذه المعانى إن شاء الله ، ه

وبعد فهذى واحدة من تلك الموازنات ، قال أبو تمام فى وصف الديار والبكاء عليها فأحسن وأغرب .

أما الرسوم فقد أذكرت ما سلفا ... فلا تكفن من شأنيك أو يكفا
لاعذر للصب أن يفنى السلو ولا ... للدمع بعد مضى الحى أن يكفا
حتى يظل بماء سافح ودم ... فى الربع يحسب من عينيه قد رعفا

وهذا المعنى الأخير ليس له وإنما أخذه من قول أبي وجزة

عيون ترامى بالرعاف كأنه من الشوق صردان تدب وتلمع

قيل فى تفسيره ، شبه الدمع وقد عصفره الدم بالرعاف ، وشبه العيون وهى تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى بالصردان تنتفض تارة وتظهر عرضا من الأرض تارة ، وبيت أبى تمـام أجود لفظا ونظما ، ولا أظن البحترى ذهب الى مثل هذا المعنى ولا للمعنى الذى فى البيتين قبله ، ولـكنه يعتذر مرة بقلة دمعه ، ومرة يفتخر بكثرته ، وفى كل ذلك يحسن ويجيد .

فمن اعتذاره قوله :

فيما ابتداركما الملام ولوعا أبكيت الا دمنة وربوعا
يادار غيرها الزمان وفرقت أيدى الحوادث شملها المجموعا
لو كان لى دمع يحسن لوعتى خليته فى عرصتك خليعا
لا تخطى دمعى الى فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعا

فبقوله فى ابتداء القصيدة « أبكيت إلا دمنة وربوعا » قد أخبر أنه بكى ثم قال « لو كان لى دمع يحسن لوعتى » أى لو كان لى دمع غزير يليق بلوعتى وينبىء عنها ، وكذلك قوله « فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعا » أى دموعا كافية أرضاها أو دموعا تسعنى ، لأنه استقل دمعه واستنزره ، أو أن يكون انقطع دمعه ، ومن افتخاره قوله :

لعمرك إن الدارسات لقد غدت بريا سعاد وهى طيبة العرف
بكينا فمن دمع يمازجه دم هناك ومن دمع نجود به صرف

وهذا حسن جدا ، وإنما أخذ قوله « بريا سعاد وهى طيبة العرف » من قول الآخر ، أنشده الأخفش عن المبرد ،

واستودعت نشرها الديار فما تزداد إلا طيبا على القدم

وهذا أجود من بيت البحترى لما فيه من الزيادة الحسنة وهى قوله « فما تزداد إلا طيبا على القدم » .

٢ ـ الجرجانى فى كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه

قال الجرجانى فى وساطته بين المتنبى وخصومه من المقدمة البالغة نحو الخمسين صفحة ، حول ماينبغى أن يكون عليه الحكم فى الأنصاف، ومازلت أرى أهل الأدب منذ ألحقتنى الرغبة بجملتهم » ، ووصلت العناية بينى وبينهم، فى أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى فئتين ، فمن مطنب فى تقريظه منقطع إليه بجملته منحط فى هواه بلسانه وقلبه ، يتلقى مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم ويشيع محاسنه إذا حكيت بالتفخيم ، ويعجب ويعيد ويكرر ويميل على من عابه بالزراية والتقصير ، ويتناول من ينقصه بالاستحقار والتجهيل ، فان عثر على بيت مختل النظام أو نبه على لفظ ناقص عن التمام ، التزم من نصرة خطئه وتحسين زلله ، مايزيله عن موقف المعتذر ويتجاوز به مقام المنتصر . ومن عائب يروم إزالته عن رتبته ، فلا يسلم له فضله ، ويحاول حطه عن منزلة بوأه إياها أدبه ، فهو يجتهد فى إخفاء فضائله وإظهار معايبه وتتبع سقطاته وإذاعة غفلاته . وكلا الفريقين اما ظالم له أو للأدب فيه . وكما أن الانتصار جانب من العدل لايسده الاعتذار ، فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار ، ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر وإسراف المفرط ، وقد جعل الله لكل شىء قدرا وأقام بين كل حديث فصلا، وليس يطالب البشر بما ليس فى طبع البشر ولا يلتمس عند الآدمى إلا ماكان فى طبيعة ولد آدم ، واذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان ، فاستسقاط من عز حاله حيف والتحامل عن من له وجه ظلم ، وللفضل آثار ظاهرة وللتقدم شواهد صادقة ، فتى وجدت تلك الآثار وشوهدت هذه الشواهد ، فصاحبها فاضل متقدم ، فان عثر له من بعد على زلة ووجدت له بعقب الاحسان هفوة ، انتحل له عذر صادق أو رخصة سائغة ، فان أعوز، قبل زلة عالم وقل من خلا منها وأى الرجال المهذب ، ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل ، ولم يكن لقولنا « فاضل » معنى يوجد أبدا ، ولم نسم به إذا

أردنا حقيقة أحداً ، وأى عالم سمعت به ولم يزل ويغلط أو شاعر انتهى اليك ذكره لم يهف ولم يسقط ، ودونك هذه الدواوين الجاهلية والاسلامية فانظر ، هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه ، إما فى لفظه ونظمه أو ترتيبه وتقسيمه أو معناه أو إعرابه ، إلى هنا وأخذ يسوق أمثلة عدة لمآخذ متنوعة على شعراء الجاهلية والإسلام ، خرج منها إلى التعريف بالشعر فكان مما قال : -

« وأنا أقول أيدك الله ، إن الشعر علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الأصالة ، ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهل والمخضرم والأعرابى والمولد ، إلا أننى أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر ، فاذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها ، أن المطبوع الذكى ، لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية ، ولا طريق للرواية إلا السمع ، وملاك الرواية الحفظ ، وقد كانت العرب تروى وتحفظ ويعرف بعضها برواية شعر بعض ، وبعد أن أطنب القول فى ذلك وأتبعه بتفاوت الشعراء فى الشعر ، وتأثير الطباع والأمكنة فى رقته وجفائه ، قال « فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادى إلى القرى ونشأ التأدب والتظرف ، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ... وتجاوزوا الحد فى طلب التسهيل حتى تسمحوا ببعض اللحن وحتى خالطتهم الركاكة والعجمة ، وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق ، فانتقلت العادة وتغير الرسم وانتسخت هذه الشبه ، واحتذوا بشعرهم هذا المثال ، فترفقوا ما أمكن وكسوا معانيهم ألطف ماسنح من الألفاظ ، فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول ، يتبين فيها اللين فيظن ضعفا . وإذا أفردت عاد ذلك اللين صفاء ورونقا ، وصار ما تخيلته ضعفا رشاقة ولطفا ، فان رام أحدهم الأغراب والاقتداء بمن مضى من

القدماء ، لم يتمكن من بعض مايروم إلا بأشد تكلف وأتم تصنع ، ومع التكلف المقت ، وللنفس عن التصنع نفرة ، وفى مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق وإخلاق الديباجة ، وربما كان ذلك سببا لطمس المحاسن، كالذى نجده كثيراً فى شعر أبى تمام ،فانه حاول من بين المحدثين ، الاقتداء بالأوائل فى كثير من ألفاظه فحصل منه على توعير اللفظ وتبجح فى غير موضع من شعره ، قال هذا ومثل له بما لم يرضه من شعر أبى تمام مقارنا إياه بما ارتفع فيه إلى الأوج وقال ، ولست أقول هذا غضا من أبى تمام ولا تهجينا لشعره ولا عصبية عليه لغيره ، وكيف وأنا أدين بفضله وتقديمه وأنتحل موالاته وتعظيمه وأراه قبلة أصحاب المعانى وقدوة أهل البديع ، لكن ماسمعتنى أشترطه فى صدر هذه الرسالة . يحظر إلا اتباع الحق وتحرى العدل والحكم به له أو عليه ، ثم عاد إلى مثل الذى كان فيه من شعر أبى تمام وخرج منه إلا أن الشعر أنواع وفنون ، وأنه لايحسن أن يجريها الشاعر مجرى واحدا من حيث الألفاظ ، بل عليه أن يقسم ألفاظها على رتب معانيها فلا يكون غزله كافتخاره ، ولا قوله فى وصف ميدان الحرب والسلاح كقوله فى وصف مجلس الشرب والمدام،وهكذا ، وأشار بتصفح شعر جرير وأبى الرمة ، وتتبع نسيب متيمى العرب ومتغزلى أهل الحجاز ، كعمر وكثير ونصيب فى القدماء ،ليعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب وعظيم غنائه فى تحسين الشعر ، ثم قال ، ومتى أردت أن تعرف ذلك عيانا وتستثبته مواجهة ، لتعرف فرق مابين المطبوع والمصنوع ، وتصل مابين السمح المنقاد والغصب المستكره،فاعمد إلى شعر البحترى فى المتأخرين،ودع مايصدر به الاختيار ويعد فى أول مراتب الجودة ويتبين فيه أثر الاحتفال،وعليك بما قاله عن عفو خاطره وأول فكرته ، وبعد أن ذكر لهذا عدة أمثلة من نسيبه قال، انظر هل تجد معنى مبتذلا ولفظا مشتهرا مستعملا ، وهل ترى صنعة وإبداعا أو تدقيقا وإغرابا وتأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده،وتفقد مايداخلك من الارتياح ويستخفك من الطرب إذا سمعته ، وتذكر صبوة إن كانت لك ، تراها ممثلة لضميرك

ومصورة تلقاء ناظرك ،فان قلت هذا نسيب والنفس تهش له والقلب يعلق به والهوى يستريح اليه ، فأنشد له فى المديح واخرج إلى الاستعطاف وخذ فى العتاب ، وبعد تمثيله لذلك أيضا قال ، وإنما أحلتك على البحترى لأنه أقرب بنا عهداً ونحن به أشدأنساءوكلامه أليق بطباعنا وأشبه بعاداتنا ، وإنما تألف النفس ماجانسها وتقبل على الأقرب فالأقرب إليها ، ولما لم يكن قد مثل لما أشار إليه من شعر القدامى انثنى يقول ، فان شئت أن تعرف ذلك فى شعر غيره كما عرفته فى شعره وأن تعتبر القديم كاعتبار المولد ، فأنشد قول جرير :

ألا أيها الوادى الذى ضم سيله الينا نوى ظمياء حييت واديا

واستمر فى القصيدة حتى أكملها أربعة وثلاثين بيتا وقال ، وإنما أثبت لك القصيدة بكاملها ، ونسختها على هيئتها ، لترى تناسب أبياتها وازدواجها واستواء أطرافها واشتباهها وملاءمة بعضها لبعض ، مع كثرة التصرف على اختلاف المعانى والأغراض ، وأخذ يوازن بينها وبين شعر شاكلها للجاهليين والاسلاميين ، مفضلا إياها .وعطف على ماللاعراب والاسلاميين وبعض المحدثين من جيد يشاركها ، وعرج بعد ذلك على مالم يكن يعيره هؤلاء التفاتا من ألوان الصنعة فى التجنيس والتصحيف والمطابقة والتقسيم وعدم الحفل بالأبداع والاستعارة ، كما يفعل سائر المحدثين ، ممثلا لذلك بالكثير من شعر هؤلاء ، إلى أن قال فى نهاية المقدمة ، وإنما قدمنا هذه النبذ توطئة لما نذكره على أثرها وتدريجا إلى مابعد ،ليكون كالشاهد المقبول قوله وبمنزلة المسلم أمره ، والشاعر الحاذق يجتهد فى تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة ، فانها المواقف التى تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم الى الأصغاء ، ولم تكن الأوائل تخصها بفضل مراعاة ، وقد احتذى البحترى على مثالهم إلا فى الاستهلال فانه عنى به فاتفقت له فيه محاسن، فأما أبو تمام والمتنبى فقد ذهبا فى التخلص كل مذهب واهتما كل اهتمام ، واتفق للمتنبى فيه خاصة مابلغ المراد وأحسن وزاد ، .

تلك هى النقاط التى تناولها الجرجانى فى وساطته بين المتنبى وخصومه ، ومنها خرج إلى ماتكلفه من الوساطة فقال : ثم نعدل إلى ماتكلفناه فى هذه الوساطة فنقول ، إن خصم هذا الرجل فريقان ، أحدهما يعم بالنقص كل محدث ولا يرى الشعر إلا القديم الجاهلى ، وما سلك ذلك المنهج وجرى على تلك الطريقة . ويزعم أن ساقة الشعراء رؤبة وابن هرمة وابن ميادة والحكم الحضرمى ، فاذا انتهى إلى من بعدهم كبشار وأبى نواس وطبقتهم سمى شعرهم ملحا وظرفا ، واستحسن منه البيت بعد البيت استحسان النادرة وأجراه مجرى الفكاهة ، فاذا نزلت به إلى أبى تمام وطبقته نفض يده وأقسم واجتهد أن القوم لم يقرضوا بيتا ولم يقعوا من الشعر إلا بالبعد ، ومن هذا رأيه ومذهبه وهذه دعواه ونحلته ، فقد أعطاك ماأردت من وجه وإن مانعك سواه ، وسمح لك بما التمست وإن التوى عليك فى غيره ، لأن الذى انتصبت له وشغلت عنايتك به ، إنما هو إلحاق أبى الطيب بهذه الطبقة وإضافته إلى هذه الجملة ، وقد بذل ذلك وقرب مطلبه عليك ، فان تكن الجماعة منسلخة من الشعر موسومة بالنقص مستحقة للنفى ، فصاحبك أولهم ، وان تكن قد علقت منه بسبب وحظيت منه بطائل فهو كأحدهم... والآخر وهو خصمك الألد ومخالفك المعاند ، من استحسن رأيك فى إنصاف شاعر ثم ألزمك الحيف على غيره ، وساعدك على تقديم رجل ثم كلفك تأخير مثله ، فهو يسابقك إلى مدح أبى تمام والبحترى ، ويسوغ لك تقريظ ابن المعتز وابن الرومى ، حتى إذا ماذكرت أبا الطيب ببعض فضائله وأسميته فى عداد من يقصر عن رتبته ، امتعض امتعاض الموتور ونفر نفار المضيم ، فغض طرفه وثنى عطفه وصعر خده وأخذته العزة بالآثم . وبعد فأنا أقبل عليك أيها الراوى المتثبت فأقول لك ، خبرنى عمن تنظمه من أوائل الشعراء ومن تفتتح به طبقات المحدثين ، هل خاص لك شعر أحدهم من شائبة وصفا من كدر ومعابة ، فان ادعيت ذلك وجدت العيان حجيجك والمشاهدة خصمك ، فان قلت قد أعثر بالبيت بعد البيت أنكره ، وأجد اللفظ بعد اللفظ

لاأستحسنه ، وليست كل معانيهم عندى مرضية ولا جميع مقاصدهم صحيحة مستقيمة ، قلنا ، فأبو الطيب واحد من الجملة فكيف خص بالظلم من بينها ، ورجل من الجماعة فلم أفرد بالحيف دونها ، وإن قلت كثر زلله وقل إحسانه واتسعت معايبه وضاقت محاسنه ، قلنا هذا ديوانه حاضراً وشعره موجودا بمكنا،هلم نستبرئه ونتصفحه ونقلبه ونمتحنه ، ثم لك بكل سيئة عشر حسنات وبكل نقيصة عشر فضائل ... ذلك رأى الجرجانى فى حجتى خصمى المتنبى، أما رأيه هو فيه فيضح من قوله لمن يحاجه « إنك لاتدعى لأبى الطيب طريقة بشار وأبى نواس ، ولا منهاج أشجع والخريمى ، ولو ادعيته لكنت تخادع نفسك أو تباهت عقلك ، وإنما أنت أحد رجلين ، إما أن تدعى له الصنعة المحضة فتلحقه بأبى تمام وتجعله من حزبه ، أو تدعى له فيه شركا وفى الطبع حظا ، فان ملت به نحو الصنعة فضل ميل صيرته فى جنب مسلم ، وإن وفرت قسطه من الطبع عدلت به قليلا نحو البحترى . وأنا أرى لك إذا كنت متوخيا للعدالة مؤثرا للانصاف ، أن تقسم شعره فتجعله فى الصدر الأول تابعاً لأبى تمام ، وفيما بعده واسطة بينه وبين مسلم » وبعد أن جال جولة طويلة فيمن لهج بعيب المتأخرين من حفاظ اللغة وجلة الرواة وإن أحسنوا، ناعيا عليهم هذا العيب، وبين ما للمحدثين من إحسان كبير بجانب إساءات قليلة ووازن بين حسناتهم والسيئات فى شعر أبى نواس وأبى تمام ضاربا لذلك الكثير من الأمثال ، صرح بأنه لم يبغ من وراء هذا ذكر الهنوات ، وإنما بغى الاعتذار لأبى الطيب لا النعى على أبى نواس وأبى تمام فقال مخاطبا من يخاصم ويحاج « وإنما خصصت أبا نواس وأبا تمام لأجمع لك بين سيد المطبوعين وإمام أهل الصنعة فأريك أن فضلهما لم يحمهما من ذلك ، وأن إحسانهما لم يصف من كدر ، فان أنصفت فلك فيهما عبرة ومقنع، وإن لججت فما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون » ، وبعدئذ دخل دخولا حقا فى تحليل شعر المتنبى تحليلا ينبىء عن معايبه أو يشيد بمحاسنه . ولم يغفل أمر الموازنة

بينه وبين غيره ، وسأسلك فى عرض آرائه الطريق التى سلكها الآمدى فى أبى تمام والبحترى وإن خالفت ترتيب الوساطة .

١ — المتنبى والسرقة

اختار الجرجانى فى كتابه أسلوب الخطاب لخصيم المتنبى فى محاجته كما رأيت فيما سبق من المقدمة، وعليه سار فى سائر ماتناوله بالكتاب ، وحين تعرض للكلام على سرقات المتنبى قدم لها بالتكلم فى السرقة على وجه عام ثم أخذ يعدد سرقات المتنبى فسود فى ذلك نحو نصف كتابه وكان مما قال ، وهذا باب لاينهض به إلا الناقد البصير والعالم المبرز ، وليس كل من تعرض له أدركه ولا كل من أدركه استوفاه واستكمله ، ولست تعد من جهابذة الكلام ونقاد الشعر ، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتحيط علما برتبه ومنازله ، فتفصل بين السرقة والغصب وبين الاغارة والاختلاس ، وتفرق بين المشترك الذى لايجوز ادعاء السرق فيه والمبتذل الذى ليس أحد أولى به ، وبين المختص الذى حازه المبتدىء فملكه وأحياه السابق فاقتطعه ، فصار المعتدى مختلسا سارقا والمشارك له محتذيا تابعا ، وتعرف اللفظ الذى يجوز أن يقال فيه أخذ ونقل والكلمة التى يصح أن يقال فيها هى لفلان دون فلان - إلى أن قال - فاذا اعتبرت مايصح فيه الاختراع والابتداع فوجدت منه مستفيضا متداولا متناقلا لايعد فى عصرنا مسروقا ولا يحسب مأخوذا وإن كان الأصل فيه لمن انفرد به ولأوله الذى سبق اليه — إذا اعتبرت ذلك — تصنف لك صنفان ، صنف مشترك عام الشركة لاينفرد واحد منه بسهم ولايختص بقسم، كحسن الشمس والقمر ومضاء السيف وبلادة الحمار وجود الغيث وحيرة المخبول ، ونحو ذلك مما هو مقرر فى البداية ومركب فى النفس ، وصنف سبق المتقدم إليه ففاز به ثم تدوول بعد فكثر واستعمل حتى صار كالأول فى الجلاء والاستشهاد والاستفاضة على ألسن الشعراء فحمى نفسه عن السرق ، وأزال عن صاحبه مذلة الأخذ ، كتمثيل الطلل بالكتاب والفتاة بالغزال، وأخير آقال،

« والسرق أيدك الله داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه ... ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا ثم العصر الذى بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا قد استغرق المعانى وسبق اليها وأتى على معظمها ، وإنما يحصل الحاضر على بقايا ، إما أن تكون قدتركت رغبة عنها واستهانة بها أو لبعد مطلبها واعتياص مرامها وتعذر الوصول اليها ، ومتى أجهد أحدنا نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه فى تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ونظم بيت يحسبه فريدا مخترعا ، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطىء أن يجده بعينه أو يجد له مثالا يغض من حسنه ، ولهذا السبب أحظر على نفسى ولا أرى لغيرى بت الحكم على شاعر بالسرقه ، إلا أنى إذا وجدت فى شعره معانى كثيرة أجدها لغيره ، حكمت بأن فيها مأخوذا لا أثبته بعينه ومسروقا لا يتميز لى من غيره ، وإنما أقول قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا ، فأغتنم به فضيلة الصدق وأسلم من اقتحام التهور » .

قال ذلك ثم أخذ يحصى ما ادعى فيه على أبى الطيب السرقة وما أضافه هو اليه مما عثر به ، حتى جاوز فى الاحصاء أربعمائة معنى ، سيان فى ذلك ما كان السبق فيه لمحدث أو لغيره من إسلامى أو جاهلى أو لأكثر من واحد من هؤلاء ، وسيان فى ذلك ما أساء فيه أبو الطيب الآخذ وما أجاد ، وهذى طائفة متنوعة من الأمثلة على ماذكر :ـ

قال أبو تمام

وماسافرت فى الآفاق إلا ومن جدواك راحلتى وزادى

أخذه أبو الطيب فقال

محبك حيثما اتجهت ركابى وضيفك حيث كنت من البلاد

وهذا من أقبح ما يكون من السرق ، لأنه يدل على نفسه باتفاق المعنى والوزن والقافية ، ومثل المصراع الأول لأبى الطيب وهو محتذ ،قول البحترى

متى ما أسير فى البلاد ركائبى أجد سائقى يهوى اليك وقائدى

وقد لاحظ أبو تمام قول المثقب

إلى عمرو ومن أثنى عليه   أخى النجدات والحلم الرزين

وقال جرير

كأن رءوس القوم فوق رماحنا   غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

فقال مسلم

يكسو السيوف نفوس الناكثين به   ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

أخذه المتنبى فقال

مبرقعى خيلهم بالبيض متخذى   هام الكماة على أرماحهم عذبا

وقريب من قول جرير قول أبى تمام

أبدلت أرؤسهم يوم الكريهة من   قنا الظهور قنا الخطى مدغما

ولست أرى هذا من سرقات أبى تمام ، لأنه ليس فيه أكثر من رفع الرءوس على القنا وهذا مشترك لا يسرق ، فأما إبدال القنا بقنا الظهور فلم يعرض له مسلم ولا جرير وهى ملاحظة بعيدة ، وأقرب من ذلك اليه قول أبى تمام

من كل ذى لمة غطت ضفائرها   صدر القناة فكادت أن ترى علما

وقال عنترة

وأنا المنية فى المواقف كلها   والطعن منى سابق الآجال

فقال أبو تمام

يكاد حين يلاقى القرن من حنق   قبل السنان على حوبائه يرد

أخذه أبو الطيب فقال

يسابق سيفى منايا العبا   د اليهم كأنهما فى رهان

ثم قلبه وغيره فقال

يكاد من طاعة الحمام له   يقتل من ما دنا له أجل

وقال الأفوه الأودى

وترى الطير على آثارنا   رأى عين ثقة أن ستمار

فقال النابغة

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائب طير تهتدى بعصائب

وقال حميد بن ثور

إذا ما غدا يوما رأيته غمامة من الطير ينظرن الذى هو صانع

وقال أبو نوس

تتأيى الطير غدوته ثقة بالشبع من جزره

وقال أبو تمام

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير فى الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنهـــا لم تقاتل

أخذه أبو الطيب فقال

سحاب من العقبان يزحف تحتها سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه

فزاد إذ جعلها سحابتين تسق السفلى العليا وهـــذا غريب ، وقد يعيبه المتكلمون فى هذا البيت بأمرين ، أحدهما أن السحاب لا يسق ما فوقه ، والآخر أن العقبان والطير لا تستسق وإنما تستطعم ، وأنا أقول ، فأما إسقاء السحاب مافوقه فهو الذى أغرب به ،ولـكن لم يجعل الجيش سحابا فى الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه وإنما أقامه مقام السحاب لتزاحمه وكثافته ، وقد فعلت العرب ذلك فى أشعارها ، ولما سماه سحابا جعله يستسق ، وأما استسقاء الطير فجاء على عادة العرب فى استعارة هذه اللفظة لكل طلب تعظيما لقدر الماء عندهم .وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فغيره ولطف فجاء كالمعنى المخترع ، فقال

يفدى أتم الطير عمرا سلاحه نسور الملا أحداثها والقشاعم
وما ضرهـا خلق بغير مخالب وقد خلقت أسيافه والقوائم

٢ - المتنبي وموقفه من غلط المعانى

للمتنبي معان وصفت بالفساد والاختلال ، أوالتضارب والتناقض ، أوالتقصيرعن الغرض والوقوع دون القصد ، أوالبعد فى الاستعارة والافراط فى الصنعة أوالمبالغة والاحالة .

وقد عد الجرجانى أمثلة لكل منها ، وهذا بعض ما عد ،

فما وقع فيه من فساد المعانى واختلالها قوله

وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وصعوبة العشق وشدته على أهله لا توجب ألا يموت من لا يعشق فيعجب منه ، وإنما تقتضى أن كل من يعشق يموت وكأنه أراد كيف لا يموت من يعشق فذهب عن مراده ، كما حدث منه فى قوله :

ولعلى مؤمل بعض ما أبـــلغ باللطف من عزيز حميد

فانه يريد ولعل بالغ بعض ماأؤمل. ومنه قوله

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمى الشفاه جعاد الشعر غرانا

والزنجى لا يوجد إلا جعد الشعر وإنما تفرط الجعودة فيهم حتى تخرج عن حد الاعتدال ، فكيف ينقلبون من الجعودة إلى الجعودة . ومنه قوله

كأنه من علمه بالمقتل علم بقراط فصاد الأكحل

ولم يكن بقراط فصاداً ولا كان الفصد غالباً فى زمانه وإنما كثر بعده.

ومما وقع فيه من التضارب والتناقض قوله

الفاعل الفعل لم يفعل لشدته والقائل القول لم يترك ولم يقل

فكيف يكون القول غير متروك ولا مقول ، وهل هذه إلا مناقضة ظاهرة ، ومنه قوله

يفضح الشمس كلما ذرت الشمـــس بشمس منيرة سوداء

والشمس لا تكون سوداء والأنارة تضاد السواد ، فقد تصرف فى المناقضة كيف شاء ،

ومما وقع فيه من التقصير عن الغرض والوقوع دون القصد قوله

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

فانه أراد التناهى فى إطالة الوقوف فبالغ فى تقصيره ، وكم عسى هـذا الشحيح - بالغاً ما بلغ من الشح وواقعاً حيث وقع من البخل - أن يقف على طلب خاتمه وهو ما ليس يخفى فى الترب إذا طلب ولا يعسر وجوده إذا فتش . ومنه قوله يرثى أخت ممدوح

وهل سمعت سلاما لى ألم بها فقد أطلت وما سلمت من كثب

وما باله يسلم على الحرم التى ليست من أهله ، وهذا يدل على ضعف البصر بمواقع الكلام ،

ومما وقع فيه من البعد فى الاستعارة والافراط فى الصنعة قوله

مسرة فى قلوب الطيب مفرقها وحسرة فى قلوب البيض واليلب

فـكيف جعل للطيب والبيض واليلب قلوباً ، وليس لهاما يشبه، القلب وهذه استعارة لم تجرعلى شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة وطرف من الشبة والمقاربة ، وكذلك قوله

تجمعت فى فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها

والزمان إذا نسب اليه شىء كان الأوفق أن يكون الساعد والعضد والمنـكب مثلا

بقيت المبـالغة والأحالة وهى أكثر هذه الأشياء يقع فيها غير متوق ولا متحفظ ، تأثراً بما وقع للشعراء قبله، كقوله فى شدة الخوف

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شىء ظنه رجلا

غير مكترث بالأحالة ولا مستقبح أن يجعل غير الشىء مرئيا ، متأثراً فى ذلك بقول أبى تمام

أفى تنظم قول الزور والفنـد وأنت أنزر من لا شىء فى العدد

وكقوله فى لمعان السيف

سله الركب بعد وهن بنجد فتصدى للغيث أهل الحجاز

متأثراً بقول مهلهل

ولولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

إلى غير تلك النواحى من عيوب المعانى التى قصد الجرجانى من وراء ذكرها عدم الشهادة لأبى الطيب بالعصمة ولا تبرئته من مقارفة الزلة ، وأنها إذا نسبت إلى ماله من إحسان وإجادة لا تقف به دون أهل طبقته ولا تقصر به عن رتبته ، إذ لا يجوز وهو من فحول الشعراء أن تحبط حسناته بسيئاته أو يغض من عام تبريزه بخاص تعذيره ،

٣ - المتنبى وموقفه من خطأ الالفاظ

وللمتنبى ألفاظ وصمت بالشذوذ على اللغة أو المخالفة للاعراب أو الخروج على الوزن أو الاضطراب فى الأسلوب ، وقد عد الجرجانى لكل منها أمثلة ، أكثرها للغة وأقلها للعروض والأسلوب وأوسطها للنحو ،

وهذا بعض ما عد ،

فمن خطئه فى الاستعمال اللغوى قوله

ليس التعلل بالآمال من أدبى ولا القنوع بضنك العيش من شيمى

يريد القناعة ، والقنوع المسألة لا القناعة ، وبعضهم يروى البيت « ولا القناعة بالاقلال من شيمى » وذكر بعض رواة الشاميين أن المتنبى أنشده قديما القنوع ورجع عنه إلى القناعة بعد ، ومنه قوله :

عوابس حلى يابس الماء حزمها فهن على أوساطها كالمناطق

والماء لا يوصف باليابس وإنما يقال جمد الماء . ومنه قوله :

فدا من على الغبراء أولهم أنا لهذا الأبى الماجد الجائد القرم

إذ لم يحك عن العرب الجائد وإنما المحكى عنهم الجواد للرجل والمطر والفرس . ومنه قوله :

بياض وجه يريك الشمس حالكة ودر لفظ يريك الدر مخشلبا

والمخشلب ليس فى كلام العرب وهو الخزف .

ومن خطئه فى مخالفة النحو قوله :

بيضاء يمنعها تكلم دلها تيها ويمنعها الحياء تميسا

فنصب تميس وتكلم مع حذف أن : ومنه قوله :

حملت اليـــه من ثنائى حديقة سقاها الحجا سقى الرياض السحائب

يريد سقى السحائب الرياض ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والحرف : ومنه قوله :

لم تر من نادمت إلاكا لا لسوى ودك لى ذاكا

فوصل الضمير بالا وحقه أن ينفصل عنها كما قال تعالى « ضل من تدعون إلا إياه » .

ومن خطئه بالخروج على الوزن العروضى قوله

تفكره علم ومنطقه حلم وباطنه دين وظاهره ظرف

فجعل عروض الطويل مفاعيلن فى غير التصريع والصحيح أن يكون مفاعلن ومنه قوله :

إنما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب

إنما بدر رزايا وعطايا ومنايا وطعان وضراب

فأخرج الرمل على فاعلاتن فى العروض فى جميع أبيات القصيدة غير غير المصرعة كما ترى فى البيت الثانى ولا يكون كذلك إلا فى التصريع أما فى غيره فيكون على فاعلن ،

ومن اضطراب أسلوبه قوله

بقائى شاء ليس هم ارتحالا وحسن الصبر زموا الا الجمالا

يريد « بقائى شاء الارتحال لا هم » وليس من الكلام ماهو أشد تعقيدا وأظهر تكلفاً وأسوء ترتيباً من ذلك ، فضلا عن فعل الضمير فى ليس والصواب الاتصال ،ومنه قوله

جللا كما بى فليك التبريح أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح

يريد فليكن التبريح جللا كالذى بى ، وبه من التعقيد ما ترى

إلى غير هذا مما ذكر الجرجانى فى هذه الناحية ولكنه قال فيه « إنه عيب مشترك وذنب مقتسم ، فان احتمل فللكل وإن رد فعلى الجميع ، وإنما حظ أبى الطيب فيه حظ واحد من عرض الشعراء وموقعه منه موقع رجل من المحدثين »

٤ ـ الموازنة بين المتنبى وغيره

إن نظرة خاطفة إلى ما ذكره الجرجانى من سرقات المتنبى التى جاوزت الأربعمائة واستغرقت نحو نصف كتابه ، ولمحة عابرة للمعانى التى ألم بها فيها ، مقارنة بمعانى من سبقوه ، لترينا بجلاء فضله على غيره من الشعراء متى أوقعنا الموازنة على الأصول الثابتة والأسس الراسية التى ثبتها وأرساها فى كتابه ، ونقلنا بعضها فيما مضى ، وهاك إشارة إلى موازنتين أخريين : ـ

١ ـ قال من قصيدة طويلة فى وصف حمى اعترته

وزائرتى كأن بها حياء فليس تزور إلا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت فى عظامى
يضيق الجلد عن نفسى وعنها فتوسعه بأنواع السقام
إذا ما فارقتنى غسلتنى كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجرى مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شر إذا ألقاك فى الكرب العظام

إلى آخرها وهى طويلة أوردها الجرجانى كلها ثم قال «وهذه القصيدة كلها مختارة لا يعلم لأحد فى معناها مثلها والأبيات التى وصف فيها الحمى اخترع أكثر معانيها وسهل فى ألفاظها ، فجاءت مطبوعة مصنوعة ، وهذا القسم من الشعر هو المطمع المؤنس . وقد أحسن عبد الصمد بن المعذل فى قصيدته الرائية التى وصف فيها الحمى ، ولكن أبا الطيب تنكب معانيه فلم يلم بشىء منها وهذا بعض الرائية »

وبت المنية تنتابنى هدوا وتطرقنى سحره
إذا وردت لم يزع وردها عن القلب حجب ولا ستره
كأن لها ضرما فى الحشا وفى كل عضو لها جمره

إلى آخر ماذكر الجرجانى ثم قال « وأنت إذا قست أبيات أبى الطيب بها على قصرها ، وقابلت اللفظ باللفظ والمعنى بالمعنى ، وكنت من أهل البصر وكان لك حظ فى النقد تبينت الفاضل من المفضول » .

٢ — وقال يصف الأسد

وقعت على الأردن منه بلية نضدت بهـــا هام الرفاق تلولا
متخضب بدم الفوارس لابس فى غيـله من لبـدتيه غيـلا
ماقوبلت عينـــاه إلا ظنتا تحت الدجى نار الفريق حلولا
يطـأ الثرى مترفقـا من تيهه فـــكأنه آس يجس عليـــلا
ويرد عفــــرته إلى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا

إلى آخر ماذكر منها وهى طويلة ، قال الجرجانى ، ولولا أبيات البحترى فى هذا المعنى لعددت هذه من إفراد أبى الطيب ، لكن البحترى قالها يصف قتل الفتح بن خاقان أسدا عرض له ، ومنها .

غداة لقيت الليث والليث مخدر يحدد نابا للقاء ومخلبـــا
فلم أر ضرغامين أصدق منكما عراكا إذا الهيابة النكس كذبا
هزبر مشى يبغى هزبرا وأغلب من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا
أدل بشغب ثم هالته صولة رآك لها أمضى جنانا وأشغبا
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
حملت عليه السيف لاعزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

وبعد فقد ذكر الجرجانى فى وساطته ، غير الموضوعات التى أشرنا اليها عن المتنبى ، جملة مقطعات اختارها من جيد شعره فبلغ بها نحو المائة، وأتبعها بما كمل المائة وزاد مما استحسن له من جودة المطالع وحسن التخلص والانتهاء ، ثم أعقب هاتين بأبيات مفردة جاوز بها الخمسين بعد المائة ، منها ماجرى

مجرى الأمثال السائرة ، ومنها ما حمل معانى مستوفاة بذت نظائرها وأشباهها، ممهداً لذلك كله بقوله وهو ما ختم به تحليلنا لهذا الكتاب، قال يخاطب محاجه : « وليس من شرائط النصفة أن تنعى على أبى الطيب بيتا شذ ،ولفظة ندرت ، وقصيدة لم يسعده فيها طبعه ، وكلمة قصرت عنها غايته ، وتنسى محاسنه وقد بهرت الأبصار ، وروايته وقد ملأت الأسماع ، ولا من العدل أن تؤخره للهفوة المنفردة ولا تقدمه للفضائل المجتمعة، وأن تحبطه للزلة العابرة ولا تنفعه بالمناقب الباهرة، وكيف أسقطته عن طبقات الفحول وأخرجته من ديوان المحسنين ، لهذه الأبيات التى أنكرتها ، ولم تسلم له قصب السبق ونصال النضال ، وتعنون باسمه صحيفة الاختيار » .

السباعى بيومى

(٥) بنو تميم في سماء العروبه

للأستاذ عبد العزيز مزروع
المدرس بالقبة الثانوية

---

(١) المصارعات اللغوية (٢) تطبيق قوانينها على قريش والعرب (٣) اللغة الألمانية والسويسرية (٤) اللغة الفرنسية والسلتية فى مقاطعة بريتون بفرنسا (٥) اللسان السلتى والانجليزى فى أيرلندة (٦) كيف استولى القرشيون على مفاتيح الكعبة ؟

---

(١) جمعتنى المصادفات السعيدة بكبير من أصدقائى الدكاترة ، فقال لى ... اطلعت على كلماتك فى (لهجة بنى تميم) ومحاولتك السمو بهم على قريش ولهجتها ونسيت أن القرآن نزل بها . لأنها كانت قد امتصت اللهجات الأخرى قبل ظهور الاسلام . فإذا سمعت أن لهجة تميم كذا فاعلم أن الحق فى هذا أنها ليست لهجة تميم بل لهجة قريش فى لسان تميم وديارهم ، أما لهجتها الأصلية فقد اندثرت نهائيا ! ! فما كتبته فى عدد أبريل سنة ١٩٤٧ ، ومابعده من موازنتك بين لهجة تميم وغيرها ونسبة هذه اللهجة إليهم فيه مبالغة ! !

وكيف تنفس على قريش منزلتها الدينية مع أن العرب هى التى أسندت إليها هذا الشرف طواعية ، لما رأت من منزلتها الاجتماعية والأدبية والاقتصادية !

فهذا يا (مزروع) نوع آخر من تعصبك لقومك التميميين ! !

ردى

فشكرت للبحاثة تفضله بالاطلاع على كلماتى ، وأكدت له أن ما فيها نتاج مباحث واصلت فيها سواد الليل ببياض النهار سنين طويلة ، وطلبت إليه أن يسمع الرد الثانى المفصل فى عدد تال وهأنذا أفى بالعهد، إن العهد كان مسئولا .

قرر البحثة فى تاريخ اللغات أن من عوامل الصراع اللغوى تجاور شعبين مختلفى اللغة ، وفى هذه الحالة لا بد أن يتغلب الشعب القوى على الضعيف ، سواء أكانت قوة العدد ، أم قوة الحضارة ، أم النفوذ والجاه ، أم البأس والبطش ؛ ولا يتم النصر غالبا إلا بعدأمد طويل يصل أحيانا إلى أربعةقرون وهذا فى الفتوح الحربية ، أما فى غيرها فهو يمتد إلى أكثرقد يتطاول إلى عشرة قرون .

وقريش كانت أقل عددا من تميم ، ولكنها عرفت كيف تستغل فرصة واتتها فسعت للتغلب على منافستها الكبيرة (تميم) أما اليمن فقد كان القضاء عليها قد تم من قبل بأمد بعيد .

ولم تتغلب (قريش) على من سواها حربيا لأنهم كانوا أميل القبائل العربية إلى المسالمة لانصرافهم إلى التجارة ورخاوة عيشهم ، فلم تكن الفتوح أيضا هى السبب فى تغلب لهجتهم على من دونهم ، وهذا يستلزم ألا تقل مدة السيطرة عن ستة قرون على أقل تقدير حتى تستطيع لهجتهم أن تمتص لهجات القبائل الأخرى .

وقريش بالإجماع لم تكن لها السيطرة على القبائل العربية إلا قرنين قبل الإسلام ، يضم إلى هذا أن الباحثين قرروا لتغلب اللغة نفسه على أخرى بدون حرب أن يتساوى الشعبان أو القبيلتان فى الهمجية أو المدنية ولكن يزيد تعداد أحدهما عن تعداد الآخر زيادة كبرى .

و (قريش) لم تفز بتحقق شرط واحد من هذه الشروط :

فهى لم تتغلب على إحدى القبائل العربية حربيا فضلا عن بقية القبائل

ولم يزد تعدادها على تعداد تميم أو ربيعة أو قيس عيلان بل قل بمراحل ، وهذا كاف لنقض دعوى القائلين بفناء اللهجات العربية كلها فى لهجة قريش !

وقد يحلو لمعترض أن يقول :

كان مقتضى هذا ألا تكون اللهجة السائدة عند ظهور الاسلام (لهجتها) بل لهجة تميم مثلا أو ربيعة ؛ وألا يقول العلماء : إن القرآن نزل بلغتها !!

والواقع يخالف هذين !!

والرد سهل ؛ لأن لهجة (بنى فهر) قد استندت إلى أساس متين من اللهجات المضرية لايقل عن ٣٠٪ من اللهجة المنسوبة إليها ؛ ولأن قريشا كان لها منزلة أدبية واجتماعية واقتصادية لابأس بها ، وفى خلال القرنين اللذين رسخ فيهما نفوذ قريش وضعت من المصطلحات التجارية والدينية مفردات وتراكيب بلغت نسبتها نحو ٣٠٪ أيضاوضمت إلى هذين العددين نحو ٢٠ ٪ من لهجة (قومى بنى تميم) غرماء قريش الذين كانوا المشرفين على مناسك الحج قبلها بعددهم وبأسهم وقضاتهم وحكامهم.

ثم ضمت اليها ٢٠ ٪ أيضا بما اقتبسوه من لهجات القبائل الأخرى مما خف وقعه ، ولان لفظه ، وسهل أسلوبه !! وبذلك كملت تلك اللهجة القرشية

وزاد من قيمة الـ ٣٠ ٪ التى ابتكرها القرشيون فوق ما ورثوه عن آبائهم المضريين أنهم أشرفوا على عمليتى الاختيار والمزج ، فوق ماقدمنا من نفوذهم ، وفوق أن حسن طالعهم شرفهم بسيد الخلق ، وأن الخلفاء والولاة والقواد الأمويين والعباسيين كانوا من قريش ، ودونت اللغة فى عهدهم وسجلت المآثر بإشارتهم !!

فليس صحيحا بعد هذا ماظنه بعض العصريين من ذوبان اللهجات العربية كلها فى اللهجة القرشية ، إذ هذه الكلمة تجن على الحق والتاريخ وبجد أرومتى .

(٣) ولم يكن الفرق بين لهجة وأخرى إلا مانشعر به من الفرق بين لغة المصريين فى مصر العليا وأسفل الأرض ـ الوجه البحرى ـ أوعلى الأكثر بين لهجة المصريين ولهجة الشوام لا الذى تعرفه بين اللغة الألمانية والسويسرية حيث تتكلم بالألمانية من أهل (سويسرة) نحو ٧٠ ٪ على الرغم من الصراع الدائم بين الألمانية والفرنسية فى سويسرا ، ذاك الصراع الذى بدأ من عهد سحيق

بين الفرنسية والسلتية :

ومثل ذلك الصراع بين اللغة الفرنسية واللسان السلتى الذى يتفاهم به سكان مقاطعة (البريتون) غرب فرنسا ، فلا يزال كثير من شيوخ هذه المقاطعة الآن يتحادثون به .

بين السلتية والانجليزية :

بل إن دهشتنا لتظهر أوضح إذا علمنا أن هذه اللهجة - السلتية - ما برحت لغة تفاهم بين العامة من الأيرلنديين عصرنا هذا مع أن تغلب الانجليز عليها مضى عليه نحو تسعة قرون على الرغم من الحروب المستعرة بين الفريقين ، والقلة المتواضعة التى عليها (الأيرلنديون)

(٦) كيف استولى القرشيون على مناسك الحج :

وأما أن مناسك الحج أسندت الى قريش طواعية واختيارا فهذا أيضا ليس بصحيح وإلى القراء بيان ذلك :

من يراجع (مجمع الأمثال للميدانى (ص ١٩٨ ح ١) يطلع على المثل : (أحمق من أبى غبشان) وكان من حديثه أن (خزاعة) حدث فيها وباء الرعاف بمكة - وكانوا ولاة الكعبة - فخرجوا منها ونزلوا (الظهران) فرفع عنهم الوباء ، وكان منهم رجل يقال له (حليل بن حبشية) وكان زعيم خدم البيت الحرام ، وله بنت يقال لها (حبى) وهى امرأة قصى بن كلاب ، فمات حليل ، وكان أوصى ابنته (حبى) بالاشراف على (الحجابة) وأشرك معها (أبا غبشان) الملكانى ، فلما راى قصى أن حليلامات ، وبنوه غيب ، والمفتاح فى يد امرأته طلب إليها أن تدفع المفتاح إلى ابنها (عبد الدار بن قصى) وحمل بنيه على ذلك فقال : (اطلبوا إلى أمكم حجابة جدكم) - وهو حليل - ولم يزل بها حتى سلمت له بذلك وقالت : كيف أصنع بأبى غبشان !! وهو وصى معى !! فقال قصى : أنا أكفيك أمره !!

تدبير المؤامرة :

فما زال يتحين الفرص حتى اجتمع بأبى غبشان فى شرب بالطائف ، (فخدعه) قصى عن (مفاتيح الكعبة) بان أسكره !! ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر !! وهو فى سكرته !! وأشهد عليه !! ، ودفع المفتاح إلى ابنه عبد الدار بن قصى !! وطيره إلى مكة !! فلما أشرف عبد الدار على دور مكة رفع عقيرته قائلا :

معاشر قريش . هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل ، قد ردها الله عليكم (من غير غدر ولا ظلم) !!

بعد أن راحت السكرة وجاءت الفكرة :

بعدها أفاق (أبو غبشان) من سكره أندم من الكسعى!! فضرب الناس به المثل (أحمق من أبى غبشان) و (أندم من أبى غبشان) و (أخسر صفقة من أبى غبشان) فذهبت الكلمات كلها أمثالا !! وأكثر الشعراء فيه القول ، فقال بعضهم :

إذا فخرت (خزاعة) من قديم وجدنا فخرها شرب الخمور
وبيعا (كعبة الرحمن) حمقا بزق !! بئس مفتخر الفخور !!

وقال آخر :

(أبو غبشان) أظلم (من قصى) وأظلم من (بنى فهر) (خزاعه)
فلا تلحوا قصيا فى شراه ولوموا شيخكم أن كان باعه !!

وللتأكد من هذا أرجو الرجوع إلى الأمهات من الكتب كالقاموس المحيط ، ونهاية الأرب والأغانى . . فذلك أمر يعرفه المؤرخون والأدباء جيدا.

وفى هذا مايدل على أن العرب لم يكن لها يد فى تولى قريش أمر الكعبة ولم يتمكن قصى من مفاتيح الكعبة إلا بهذه السبيل !! ، وكان القرشيون قبل ذلك أولى تجارة بين اليمن والشام ، وذوى مركز مالى ؛ فضم الشرف إليهم بسدانة البيت ميزتهم ميزة أخرى ، فأخذوا يعضون عليها بالنواجذ

وجادوا بدمائهم فى سبيل المحافظة عليها . وما زالوا على ذلك حتى أشرق عليهم سيد الرسل بعد أن ثبتت أقدامهم ، وطارصيتهم ، وأثروا إثراء فاحشا وتزلف اليهم كثير من القبائل ، فإذا ضم إلى هذا قلة تلك المدة بالنسبة لما قدمنا ، تبين لنا مبلغ المبالغة فى مركز اللهجة القرشية .

وأرجو بعد هذا أن أكون قد شفيت صدر الحق ، وأوضحت حقيقة طمسها كر الغداة ومر العشى . وأعطيت مالقيصر لقيصر وما لله لله ، فى هذا المجال الذى زلقت فيه مباحث المستشرقين وبعض الشرقيين من علمائنا قديما وحديثا ، وبين كل أولئك يظهر (فضل قومى) وجهادهم فى رفع شأن العرب ولغتهم من قبل أن تخلق قريش . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

عبد العزيز مزروع الأزهرى
المدرس بالقبة الثانوية

أبو يوسف وكتاب الخراج

للأستاذ أحمد أحمد بدوى
مدرس بكلية دار العلوم
بجامعة فؤاد الأول

- ٢ -

كتاب الخراج

هو الأثر العلمى الوحيد الذى بقى من مؤلفات هذا العالم الجليل ، وانهم ليذكرون له مؤلفات أخرى ، فى الفقة وأصول الفقة ، أورد أسماءها ابن النديم ، ولكنها لم تصل إلينا ، أما آراؤه فى المسائل الدينية ، فقد نقلها عنه تلاميذه ولا سيما محمد بن الحسن الشيبانى فيما ألفه من كتب .

وكتاب الخراج الذى بين أيدينا أثر جليل ، يدل على ما كان لهذا العالم من طول باع ، وسعة اطلاع ، وحسن تصريف للأمور ، وعمق ونفاذ يستبطن بهما حكمة التشريع حتى يصل إلى مايراه الرأى الصائب السديد .

ولقد أثر هذا الكتاب أثرا عميقا فى نفسى ، إذ رأيت فيه صورة الرجل الهادىء ، والمصلح الواسع الفكر والفقية المستنير ، وهو إلى جانب ذلك كلة معتز بعلمه ، واثق من أن حقه أن يبين للناس الحق والصواب ، ومن حقه عليهم أن يصغوا له ويطيعوا .

رأيت فى الكتاب صورة الرجل الصادق فى نصحه ، والذى لايغضى العين على عيب يراه ، بل هو صريح يذكر للرشيد فى صراحة مايراه من العيب والتقصير فى دولته ، يقول له مرة ، وهذا الذى بلغنى أن ولاتك يفعلونه ليس من الحكم والحدود فى شىء ويقول مرة أخرى عند ذكر مايجب أن

يقدمه بيت المال للمسجونين من الطعام والكسوة : إن هذا عظيم أن يكون قوم من المسلمين قد أذنبوا وأخطئوا ، وقضى الله عليهم ماهم فيه ، فحبسوا ، يخرجون فى السلاسل يتصدقون ، وماأظن أهل الشرك يفعلون هذا بأسرى المسلمين الذين فى أيديهم ، فكيف ينبغى أن يفعل هذا بأهل الاسلام ، وإنما صار وإلى الخروج فى السلاسل يتصدقون لما هم فيه من جهد الجوع ، وفى مواضع أخرى ينبئه بما يسمعه ويعلمه من أخبار الولاة ، فينتقد وينقد، يقول للرشيد منتقدا طول حبس المتهم بدون تحقيق فى أمره : وإنما يكثر أهل الحبس لقلة النظر فى أمرهم إنما هو حبس وليس فيه نظر ، فمر ولاتك جميعا فى النظر فى أمر أهل المحبوس فى كل يوم ، فمن كان عليه أدب أدب وأطلق ، ومن لم تكن له قضية خلى عنه كما بلغنى أن ولاتك يضربون ، وإن رسول الله ﷺ قد نهى عن ضرب المصلين . وقد صب جام غضبه على المحسوبية ، وعدم التدقيق فى اختيار العمال الصالحين ، يقول للرشيد : إذا لم يكن (أى العامل) عدلا ثقة أمينا فلا يؤتمن على الأموال ، وإنى قد أراهم لا يحتاطون فيمن يولون الخراج ، إذا لزم الرجل منهم باب أحدهم أياما ولاه رقاب المسلمين وجباية خراجهم ، وإنه قد بلغنى أنه قد يكون فى حاشية العامل والوالى جماعة : منهم من لهم به حرمة ، ومنهم من له إليه وسيلة ، ليسوا بأبرار ولا صالحين، يستعين بهم ، ويوجههم فى أعماله ، يقتضى بذلك الذمامات فلا يحفظون مايوكلون بحفظه ، ولا ينصفون من يعاملون ، إنما مذهبهم أخذ شىء من الخراج أو من أموال الرعية ، ثم إنهم يأخذون ذلك فيما يبلغنى بالعسف والظلم والتعدى، ومن أجل هذا ألح أبو يوسف فى كثير من فصوله فى وجوب التدقيق فى اختيار العامل ، علما منه بأن العبرة ليست فى القانون ولكن فى منفذ هذا القانون .

وفى الكتاب صورة كاملة للعامل والوالى الكاملين ، بل إن أبا يوسف لا يكتفى بكما لهما فقد تغرهما النفس الأمارة بالسوء ، فطلب إلى الرشيد أن

تكون له عيون على عماله وولاته ، ينبثونه بكل انحراف يصدر منهم فيعاقبهم عليه أشـــد العقاب ويكون حراما استعمالهم بعد ، بل لا يكتفى أبو يوسف بذلك . بل يطلب من الرشيد أن يجلس للمظالم ، ويستمع إلى شكوى الشاكين من رعيته ، فيقول له : فلو تقربت إلى الله عز وجل يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك فى الشهر أو الشهرين مجلسا واحدا ، تسمع فيه من المظلوم ، وتنكر على الظالم رجوت ألا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ، ولعلك لا تجلس إلا مجلسا أو مجلسين حتى يصير ذلك فى الأمصار والمدن ، فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترىء على الظلم ، ويأمل الضعيف المقهور جلوسك ونظرك فى أمره ، فيقوى قلبه ويكثر دعاؤه . . . مع أنه متى علم العمال والولاة أنك تجلس للنظر فى أمور الناس يوما فى السنة ، ليس يوما فى الشهر تناهوا بإذن الله عن الظلم وأنصفوا من أنفسهم .

كما رأيت فى هذا الكتاب صورة صادقة للقاضى الرفيق بالرعية المفضل للعفو على الانتقام ، يقول : فلا يضربن رجل فى دراهم خراج ، ولا يقام على رجله ، فانه بلغنى أنهم يقيمون أهل الخراج فى الشمس ، ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ، ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة ، وهذا عظيم عند الله شنيع فى الاسلام . كما أوصى أن يعامل أهل الذمة المعاملة الكريمة ، وعنده أن الخطأ فى العفو خير من الخطا فى العقوبة ، هذا مع عدم الاخلال بالحزم فى توقيع العقوبة إذا فرضت ، وعدم محاباه أحد من حدود الله ، وعدم الاصغاء إلى شفيع فيه .

وبعد فماموضوع هذا الكتاب ؟ وما الخطة التى انتجها صاحبه فى تأليفه ؟ وما رأينا فى هذه الخطة ؟ وما أسلوب الكتاب ولغته ؟ وهل لهذا الكتاب أهمية فى عصرنا الحاضر ؟ وهل يدل الكتاب على أن أبا يوسف مجتهد مطلق ؟ أسئلة نجيب عنها لتتضح للكتاب صوره صادقة ونزنه بميزان عادل .

موضوع الكتاب

أما موضوع الكتاب الأساسى ، فهو بيان الأموال التى من حق الامام أخذها من رعيته ، ولما كانت هذه الرعية مختلفه : منها المسلم ومنها النصرانى واليهودى ،ومنها المجوسى ، اختلفت الضريبة باختلاف هذه الاصناف ، كما اختلفت باختلاف نوع الأرض ، فالمفتوح عنوة له حكم ، والمفتوح صلحا له حكم آخر ، وأرض العرب الخاص لها حكمها الخاص بها ، ولقد قصر حديثه على قسم المملكة الشرقى ، فتحدث عن الضرائب التى تفرض على بلاد العرب والشام والجزيرة والسواد والبصرة وخراسان ولم يتحدث عن القسم الغربى للملكة من مصر إلى المحيط الأطلسى. ولعل الضرائب على هذه البلاد كانت مقررة مفروغا منها ، فلم يحتج أبو يوسف إلى الحديث عنها ومن موضوع الكتاب أيضا الزكاة التى يأخذها الامام من الرعية وبعض التصرفات المالية التى يقوم بها الامام من البيع والاقطاع والتأجير فى أملاك الدولة ثم بيان أين تنفق أصول الضرائب والزكاة .

وهذا هو موضوع الكتاب الأساسى ، ولعل كلمة الخراج التى وضعت عنوانا لهذا الكتاب يراد بها ما نطلق عليه اليوم إيراد الدولة ، أو لعله سماه الخراج من إطلاق الخاص على العالم ، إذا لخراج هوما يأخذه الامام من العجم الذين غلبهم الاسلام ، وترك أرضهم فى أيديهم ، ولكن الكتاب لم يقتصر على ذلك ، بل تحدث عما يأخذه الامام من العجم والعرب مسلمين وغير مسلمين وما يفرض على الارض والتجارة .

هذا ـ كما قلت ـ هو الموضوع الأساسى للكتاب ، ولكن تبع هذا الموضوع موضوع آخر ، استغرق من المؤلف جهدا كبيرا ، ذلك انه بينما كان يتحدث عن أن بيت المال يجب أن ينفق منه على المحبوسين انتقل إلى بيان العقوبات التى توقع على هؤلاء المحبوسين فأفاض فى بيان الحدود ، وأنواعها ، وكيف ، وأين ، ومتى توقع ؟

ولما كان من الضرائب التي تجبى ضريبة الجزية ، تحدث أبو يوسف عن لباس أهل الذمة ، وزيهم ، وكنائسهم ، وبيعهم ، وصلبانهم ، وعن المجوس وعبدة الأوثان وأهل الردة وحكم المرتد عن الاسلام ، ومن مر بمسالح المسلمين من أهل الحرب ـ والجواسيس وقتال أهل الشرك ،وكيف يدعون إلى الاسلام .

وفى الكتاب فصل تاريخى محض يذكر فيه أبو يوسف ما كان عمر فرضه لأصحاب رسول الله ،وليس لهذا الفصل من أثر عملى فى عهد الرشيد وفيه فصول تاريخية لها أثر عملى تحدث فيها عن فتح الشام والعراق وخراسان ، لأنه يترتب على هذا الفتح مقدار الضريبة المفروضة على الأرض ؛ وتحدث فيها أيضا عما للذميين من حقوق صولحوا عليها وفى هذه الفصول تبدو ثقافة أبو يوسف التاريخية التى تحدثنا عنها ولم آخذ على أبو يوسف فى تلك فصول إلا قصتين رواهما لا أدرى كيف اتسع عقله لاستساغتهما أما الأولى فتلك التى يتحدث فيها عن فتح الحيرة قال ابو يوسف : فنزل إليه (أى إلى خالد بن الوليد) عبد المسيح ابن حيان بن بقيله ، وخرج إليه إياس بن قبيصة الطائى وكان والى الحيرة من قبل كسرى فأتوا ، خالدا فقال لهم : أدعوكم إلى الله ، وإلى الاسلام ، فان أنتم فعلتم فلكم ما للمسلمين ،وعليكم ماعليهم ، وإن أبيتم فاعطوا الجزية ، فإن أبيتم فقد أتيتكم بقوم أحرص على الموت منكم على الحياة ، قال . وفى يد ابن بقيلة السم ،قال : فقال له خالد : ماهذا ؟ قال: هذا السم ، فإن أنت أعطيتنى ماأريده ، وإلا شربته فلا أرجع إلى قومى بمالايحبون ، قال : فاخذه خالد من يده ، وقال باسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء ، فى الأرض ولا فى السماء ، ثم ابتلعه ، قال : فرجع إلى قومه ، وقال لهم . جئتكم من عند قوم لايعمل فيهم السم .

هذه قصة ظاهرة البطلان ، وهى خرافية ، فليس خالد من البلاهة بهذا الحد ، ولانجد فى الكتاب الذى كتب بين خالد وإياس .

ذكرى لابن بقيلة.

والقصة الثانية يرويها حين ذكر أن المجوس يدفعون الجزية، وليسوا بأهل كتاب، قال: حدثنا قطر بن خليفة أن فروة بن نوفل الأشجعي، قال: إن هذا الأمر عظيم يؤخذ من المجوس الجزية، وليسوا بأهل كتاب، قال فقام إليه المستورد بن الأحنف، فقال: طعنت على رسول الله ﷺ، فتب وإلا قتلتك والله. وقال: قد أخذ رسول الله ﷺ من مجوسى أهل هجر الجزية، قال: فارتفعنا إلى على بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقال: سأحدثكما بحديث ترضيانه جميعا عن المجوس: إن المجوس كانوا أمة لهم كتاب يقرءونه. وأن ملكا لهم شرب حتى سكر، فأخذ بيد أخته، فأخرجها من القرية، واتبعه أربعة رهط، فوقع عليها وهم ينظرون إليه، فلما أفاق من سكره، قالت له أخته إنك صنعت كذا وكذا، وفلان وفلان وفلان وفلان ينظرون اليك. فقال: ماعلمت بذلك، فقالت: فإنك مقتول ولا نجاة لك إلا أن تطيعني، قال فانى أطيعك، قالت: فاجعل هذا دينا، وقل هذا دين آدم وقل: حواء من آدم، وادع الناس إليه، واعرضهم على السيف، فمن تابعك فدعه، ومن أبي فاقتله، ففعل فلم يتابعه أحد، فقتلهم يومئذ حتى الليل، فقالت له: إنى أرى الناس قد اجترءوا على السيف، وهم على النار لكع، فأوقد لهم ناراً ثم اعرضهم عليها ففعل فهاب الناس النار فتابعوه، قال على ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه: فأخذ رسول الله ﷺ الخراج لأجل كتابهم، وحرم مناكحتهم وذبائحهم لشركهم.

هذه قصة واضحه البطلان كذلك، وقد تكون فكرتها الأساسية من أن للمشركين فى أول أمرهم كتابات صحيحة، ولكن القصة على هذه الصورة مما لايقبله العقل، ولعل هـــذا كان من الأسباب التي جعلت بعض العلماء لا يروون عنه ولا يثقون بحديثه.

تحليل الكتاب :

بدأ أبو يوسف كتابه بمقدمة هي رسالة موجهة إلى أمير المؤمنين هرون الرشيد ، صدرها بالدعاء له ، وذكر فيها أنه قام بالتأليف ، إجابة لرغبة الأمير الذى سأله وضع كتاب جامع فى الخراج ، ووجه بعدئذ خطابه إلى الرشيد ينصحه فى رفق ، ويذكره بواجبه نحو رعيته ، وقد أطال فى هذا التذكير ، مصوراً يوم القيامة ومافيه ، وأنه قريب مهما بعد أجله ، ويقول فى ذلك : إنما هو اختلاف الليل والنهار يبليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود ويجزى الله كل نفس بما كسبت ، إن الله سريع الحساب ، فالله الله ، فإن البقاء قليل ، والخطب خطير ، والدنيا هالكة وهالك من فيها ، والآخرة هى دار القرار ، فلاتلق الله غداً وأنت سالك سبيل المعتدين فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ، ولا يدينهم بمنازلهم .

وانتهى من ذلك بأن أورد أحاديث عن الرسول يرغب بها الرشيد فى عمل الخير ، ويحضه على أداء الواجب لنفسه ، ولرعيته ، حتى إذا أورد من ذلك ماشاء أن يورده عاد إلى سيرة السلف الصالح فروى من كلامهم وأعمالهم مايجب أن يكون نموذجا للامام العادل : نقل عن أبى بكر وروى عن عمر وعثمان وعلى مايصح أن يتخذه الرشيد مثلا له فى معاملة رعيته ، وكانت سيرة عمر بن عبد العزيز وردا صافيا يستقى منه المثل والنماذج مايدل على أن سيرة هذا الامام العادل كانت موضع إجلال أصدقائه وأعداء أسرته من العباسيين ، وكل ماأورده من تلك السيرة يرمى إلى أن الخليفة مسئول عن هذه الرعية التى وكل إليه أمرها ، وأن العناية بأمرها والسهر على شئونها أفضل عند الله من الصلاة والصيام ، وأن الواجب على الخليفة ألا يغتر بمظاهر هذه الحياة ، بل يذكر أن الموت دائما له بالمرصاد .

وقد كان أبو يوسف صريحا حينما قدم كتابه إلى الرشيد ، فلم يلبس ثوب التواضع الوهمى ، ولكنه قدمه إليه بلغة الأستاذ المعلم الذى يلقى على تلميذه درسا ، ويطالبه بعد ذلك باستذكاره وحفظه ؛ فهو يقول له مخاطبا بلهجة

الافراد متجنبا ميم الجمع ، وضمير الغيبة معا : وقد كتبت لك ماأمرت به ، وشرحته لك ، وبينته ، فتفقهه ، وتدبره ، وردد قراءته حتى تحفظه .

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى غرضه من الكتاب ، جاعلا لكل موضوع فصلا خاصا به فلم يترك الموضوعات يختلط بعضها ببعض، ويستطرد من موضوع إلى آخر ، كما كان يفعل بعض مؤلفي تلك العصور . غير أن لي نقداً على ترتيب فصوله ، فأرى أن بعض هذه الفصول كان من الواجب أن يتقدم على بعض ، إذنراه قد تحدث مثلا ، عن سواد العراق وكيف فتح وعن أرض الشام والجزيرة ، ثم أتى بفصل بين فيه كيف كان فرض عمر لأصحاب رسول الله ﷺ ، وكيف خالف أبابكر في هذا الفرض ، ثم عاد إلى بيان ماينبغي أن يعمل به في سواد العراق . وتحدث مرة أخرى عن حكم المرتدين إذا حاربوا ، وانتقل إلى فصول أخرى طويلة حتى إذا قارب الكتاب نهايته عاد فتحدث في فصل عن حكم المرتد في الاسلام ، وبعد أن تحدث طويلا عن الأراضي التي يؤخذ منها الخراج والأراضي التي يؤخذ منها العشر ، عاد فتحدث في فصل عن حد أرض العشر من أرض الخراج ، مع أن موضع هذا الفصل يجب أن يكون في أول الكتاب ، ولوشئت أن أمضي في نقد ترتيبه للفصول لطال بي القول ، ومن الممكن أننا إذا عدلنا ترتيب الفصول ، فقدمنا مايستحق التقديم ، وأخرنا مايستحق التأخر لسار الكتاب على نهج واضح من المنطق .

أما خطته في كل فصل تقريبا فان يضع في رأس الفصل موضوعه، على هيئة سؤال وجهه إليه الرشيد ، ثم يجيب عن هذا السؤال ثم يذكر الأدلة التي استقى منها هذا الجواب ، وقد يذكر المذاهب المختلفة عارضا أدلتها مبديا ماراه هو أولى بالاتباع ، أو مخيراً الرشيد في اتباع أي الرأيين شاء .

والفصول كذلك ينقصها الترتيب الدقيق الذي نتطلبه من التأليف في عصورنا الحاضرة ، وبعض الفصول التاريخية معرض غير منتظم للروايات المختلفة .

لغة الكتاب

لغة أبي يوسف في الكتاب مختلفة ، فهو يتأنق فيها حينا فيرقى ، ويرتفع حين يريد التأثير في نفس سامعه ، ليعمل برأيه ، ولغته حينئذ لغة الأديب المتفنن يختار اللفظ الجيد والأسلوب القوى . اقرأ له مثل قوله : ورأيت أبقى الله أمير المؤمنين أن يتخذ قوما من أهل الصلاح والدين والأمانة ؛ فتوليهم الخراج ، ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لأهل الرأى عفيفا لا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يخاف فى الله لومة لائم ، ماحفظ من حق وما أدى من أمانة احتسب به الجنة ، وما عمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت . تجوز شهادته إن شهد ، ولا يخاف منه جور فى حكم إن حكم ، فإنك إنما توليه جباية الأموال وأخذها من حلها ، وتجنب ما حرم منها يرفع من ذلك ما يشاء ، ويحتجن منه ما يشاء . وقد أسمعتكم كثيرا من هذا اللغة الراقية فى كثير من المواضع .

وهو عندما يبين الأحكام سهل واضح دقيق لايتأنق ولا يطيل ولا يوجز يقول فى حد أرض الخراج وأرض العشر : كل أرض أسلم أهلها عليها ، وهى من أرض للعرب أو أرض العجم فهى لهم . وهى أرض عشر وأيما دار من دور الأعاجم قد ظهر عليها الإمام وتركها فى أيدى أهلها فهى أرض خراج ، وهكذا كانت السهولة ديدنه عند بيان الأحكام .

كما نجد بعض ألفاظ فارسية فى كتابه مثل الرستاق ، ومعناه طرف الإقليم والبريدات وهى مفاتح الماء .

أهمية الكتاب

وللكتاب أهمية كبرى فى عصرنا الحاضر ، لأنه يعطينا صورة عن الضرائب التى كانت تجبى فى ذلك الحين ، ويعطينا صورة صادقة أيضا عن الضرائب التى كانت تجبى فى عصر النبى ، والخلفاء الراشدين ، وكيف كان أهل الذمة يعاملون فى تلك العصور ، فقيمة الكتاب من هذه الناحيه تاريخية

محضة لأن نظامنا فى الضرائب لم يعد ذلك النظام القديم الذى يفرق بين المسلم وغيره ويفرق بين أنواع الأرضين ، كما اختلفت المعاملة ، وأصبح الجميع أمام القانون سواء .

وللكتاب أهمية أخرى ، تلك هى ما حواه من الكتب والرسائل التى تبودلت بين الخلفاء والولاة والعمال ، فهو معين لمادة أدبية قيمة ، تتصل بجباية الضرائب ومعاملة أهل الذمة .

والكتاب معين لا ينضب أيضا للأحاديث والآثار التى ترتبط بموضوع الكتاب الذى تحدثنا عنه سالفا .

هل أبو يوسف مجتهد مطلق؟

المجتهد المطلق هو ذلك العالم الذى يرجع إلى الأدله الأصلية يقتبس منها أحكامه ، والمجتهد المقيد هو العالم الذى يرجع إلى إمامه ويحتج له ويوجه أدلته ، فمن أى النوعين كان أبو سيف ؟ إذا رجعنا إلى كتاب الخراج رأينا أبا يوسف يرجع إلى الأدلة الأصلية يأخذ منها ما يراه من الأحكام الشرعية فهو يذهب إلى القرآن وعمل الرسول وسنته وآثار السلف الصالح . يتخذ منها مصدر تشريعه ، ثم نراه يضع نفسه مع أبى حنيفة فى منزلة واحدة ، ويذكر رأى أبى حنيفة ويتبعه برأيه هو ، وكثيرا ما خالف رأى أبى حنيفة ، وفى الكتاب نماذج كثيرة لتلك المخالفة ؛ قال أبو يوسف : وكان الفقيه المقدم أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول فى تقسيم الغنيمة بين الفارس والراجل : للرجل سهم وللفرس سهم ، وقال : لا أفضل بهيمة على رجل مسلم ، ويحتج بما حدثناه عن ذكريا بن الحارث عن المنذر بن أبى حنيفة الهمذانى أن عاملا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قسم فى بعض الغنائم ، للفرس سهما ، وللرجل سهم ، فرفع ذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فسلمه وأجازه ، فكان أبو حنيفة يأخذ بهذا الحديث ، ويجعل للفرس سهما ، وللرجل سهما ، وما جاء من الأحاديث والآثار أن للفرس سهمين وللرجل سهما أكثر من ذلك وأوثق ،

والعامة عليه ، ليس هذا على وجه التفضيل ، ولو كان على وجه التفضيل ما كان ينبغى أن يكون للفرس سهم وللرجل سهم ، لأنه قد سوى بهيمة برجل مسلم إنما هذا على أن يكون عدة الرجل أكثر من عدة الآخر ، وليرغب الناس فى ارتباط الخيل فى سبيل الله ، ألا ترى أن سهم الفرس إنما يرد على صاحب الفرس ، فلا يكون للفرس دونه . ويقول فى موضع آخر مخالفا لأستاذيه : أبى حنيفة وابن أبى ليلى : وسألت يا أمير المؤمنين عما يخرج من البحر من حلية وعنبر ، فإن فيما يخرج من البحر من الحلية والعنبر الخمس ، فأما غيرهما فلا شىء فيه ، وقد كان أبو حنيفة وابن أبى ليلى رحمهما الله يقولان . ليس فى شىء من ذلك شىء ، لأنه بمنزلة السمك ، وأما أنا فإنى أرى فى ذلك الخمس وأربعة أخماسه لمن أخرجه لأنا قد روينا فيه حديثا عن عمر رضى الله عنه ، ووافقه عليه عبد الله بن عباس فاتبعنا الأثر ، ولم نر خلافه .

ويقول فى موضع آخر . فكان قول الحسن وعطاء أحسن عندى من قول أبى حنيفة ، وفى موضع آخر يقول : هذا لا يجوز فى قول أبى حنيفة وقولى . وكل ما فى الكتاب ينطق باعتداد أبى يوسف بنفسه واستقلاله برأيه وكانت الأدلة التى يعود إليها هى القرآن الكريم وحديث الرسول وفعله والآثار المروية ، ولا سيما عن عمر . فقد كان معجبا به أيما إعجاب ، وفى بعض الأحيان كان يخالفه فى فعله لا فى جوهر فكرته ، والكتاب ينطق بأن أبا يوسف كان يتخذ كل ما ذكرناه وردا يستنبط منه أحكامه . أما شهرته بالقول بالرأى فمعناها — على ما أرى — أنه كان يفهم روح الأثر فيعمل بمقتضاه ، ولم يكن معناه أنه كان يرجع إلى رأيه قبل أن يرجع إلى الحديث والأثر .

وبرغم اعتداد أبى يوسف بآرائه اعترف بأن ما أشكل عليه اتخذ إمامه فيه أبا حنيفة ، وهكذا نستطيع أن نقول إن أبا يوسف مجتهد مطلق فى غير ما رآه مشكلا ، أما فى المشكل فهو مقلد لأبى حنيفة. رحم الله هذا الامام الجليل .

مراجع البحث .

١ — وفيات الاعيان . — ٢ — تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان — ٣ — تاريخ القضاء فى الاسلام — ٤ — كتاب الاغانى — ٥ — كتاب الخراج — ٦ — حضارة الاسلام فى دار السلام — ٧ — تاريخ بغداد — ٨ — الفهرست لابن النديم .

النحو بين الالغاء والابقاء

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

المدرس بكلية دار العلوم

بجامعة فؤاد الأول

---

(٦) لا بد من دراسة النحو
أو خطر الدعوة إلى تقويضه

إذا كان النحو روح المعنى كما سبق ، ثم هو أساس التركيب ، فلا جرم تكون دراسته ضرورية ، والإلمام به ، من عدة الأديب والمتكلم الفصيح لأن اللغة قد صارت إلى أن تعلم بالدرس بعد أن كانت تعرف بالسليقة والمحاكاة .

وليست الدعوة إلى إلغائه إلا هدما للغة من قواعدها الوطيدة ، وهدما لهذا الدين الذى ختم الله به الأديان للناس ، ثم تعفية على القرآن الكريم والحديث الشريف ، وما خلف السابقون واللاحقون من روائع الشعر والنثر والثقافة ، ولذا يقول ابن الأثير . « فوجب حينئذ معرفة النحو إذ كان ضابطا لمعانى الكلام ، حافظا له من الاختلاف ، (١) والتصريف شعبة من النحو وإن فصله بعضهم ، فلا بد من دراسته ، وإذا لم يكن عارفا به لم تفسد عليه معانى كلامه ، وإنما تفسد عليه الأوضاع وإن كانت المعانى صحيحة . . ومن العجب أن يقال انه لا يحتاج إلى معرفة التصريف ، ألم تعلم أن نافع بن أبى نعيم وهو من أكبر القراء السبعة قدرا ، وأفخمهم شأنا قال فى معايش معائش بالهمز ، ولم يعلم الأصل فى ذلك ، فأوخذ عليه ، وعيب من أجله ، ومن جملة

---

(١) المثل السائر ص ٥

من عابه أبو عثمان المازنى فقال فى كتابه فى «التصريف . » ان نافعا لم يدر ما العربية »(١)

وعلى فرض أنا نوافق على إلغاء الإعراب من اللغة فماذا نصنع فى تراثنا الخالد ، ودستورنا الهادى وهو القرآن الكريم ؟ وكيف يقرأ ؟ وكيف يحفظ؟ ثم ماموقفنا من الحديث الشريف وإنتاج السلف من فن وعلم وأدب؟ أنقطع الصلة بيننا وبين هذا التراث الثمين وهو الينبوع الذى نستقى منه حميا العزة والمجد ؟أم نحوله إلى لغة التسكين الجديدة ؟

ثم ماذا نصنع فى الكلمات التى لاتسكن كالمثنى وجمع المذكر السالم وبعض المبنيات ؟ انسكنها حتى فى الوصل ؟

ثم ان اللغة المعربة هى اللغة التى تربط الأمة العربية ، وتكفل التفاهم بين أقطارها المختلفة ، لأن لهجاتها العامية متباينة ، فلو ألغينا الإعراب ولجأنا إلى التسكين لقربت الفصحى من العامية ، ولنطقها كل أقليم بلهجتين فلا يتحقق التفاهم ، ولا يتحقق الاتصال ، ولقضينا بذلك على الوحدة العربية المنشودة التى نجد جميعا فى تقوية أواصرها ، وهى ما زالت فى المهد .

وليست اللغة العربية وحدها هى المختصة بالاعراب كما رأى بعض علمائها السابقين ، وكما يزعم بعض الدعاة إلى التسكين ، فالألمانية تشاركها وتزيد عليها أحيانا ، فإن لاعراب الأسماء عندنا ثلاثة أحوال : الرفع والنصب والجر ،أما الألمانية فلإعرابها أربعة أحوال : الرفع والنصب والجر بحرف الجر ، والجر بالاضافة .

والإعراب عندنا مقتصر على أكثر الأسماء والأفعال ، ولكنه فى الالمانية يتجاوز ذلك إلى مايقابل الحروف والأسماء المبنية عندنا من أدوات التعريف والتنكير والأسماء الموصولة .

والأسماء فى الألمانية تنقسم ثلاثة أقسام : مذكر ،ومؤنث ، وغير عاقل ولكل منها أداة تعريف . وهذه الأدوات تخضع لعوامل الإعراب

(١) المثل السائر ص ٧

الأربعة السابقة . فقبل النطق بأى اسم من الأسماء المعرفة يجب أن تختار له أداة تعريف من بين اثنتى عشرة أداة هى حاصل ضرب أنواع الاسماء الثلاثة فى أحوال الاعراب الاربعة وكذلك الشأن فى أدوات التنكير (١)

على انه كان فى البابلية والعبرية والسريانية ، ولكن تضاءل، ولم يبق منه شيء تقريبا كما كان فى اللاتينية ولكن انقرض فى اللغات المتشعبة منها، وقد كان معظم هذه القواعد كبير الفائدة فى بيان وظيفة الكلمات وتحديد مدلولاتها وتعيين العلاقات التى تربط عناصر العبارة بعضها ببعض وقد أدى انقراض هذه القواعد فى اللهجات المتشعبة عن اللاتينية إلى كثير من اللبس والاضطراب ، (٢) ثم لماذا لا يدعو الفرنسيون مثلا إلى إلغاء قواعدهم وهى متشعبة كقواعد اللغة العربية ، على أنهم حراص على تيسير لغتهم وذيوعها فى العالم كله ؟

(١) من مقال للاستاذ مهدى علام فى صحيفة دار العلوم

(٢) علم اللغة للدكتور على عبد الواحد ٣٠٢

(ثالثا)

التيسير لا الالغاء

خير من الدعوة إلى إلغاء النحو أن ندعو إلى تيسيره .

بل الدعوة إلى إلغائه دعوة فاشلة باطلة ، لا يصح أن نصيخ إليها ، ولا نعمل بها .

ويظهر أن تيسير النحو قد شغل بعض الباحثين قديما ، فان ابن خلدون يقول : « ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربى لهذا العهد ، واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية فى دلالتها بأمـــور أخرى موجودة فيه تكون لها قوانين تخصها . ولعلها تكون فى أواخره على غير المنهاج الأول فى لغة مضر ، فليست اللغات وملكاتها مجانا ، ولقد كان اللسان المضرى مع اللسان الحميرى بهذه المثابة . وتغير عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميرى وتصاريف كلماته ، تشهد بذلك الأنقال الموجودة لدنيا خلافا لمن يحمله التصور على أنها لغة واحدة . . . ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر فى الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها » (١)

ثم هى مشكلة تتجدد فى كل عصر ، ويزيدها هذا التباين بين لغة المعمل والمصنع ، والسوق ، والشارع ، والمنزل وبين لغة الدرس ــ أحيانا ـ والمحاضرة والشعر والنثر والخطبة ، حتى ليصح القول إن اللغة الفصحى ليست صورة صادقة لشعور الجمهرة من العرب فنحن نضطرب بين لغتين .

(١) المقدمة ص ٤٩١

إحداهما لغة الحياة اليومية أى لغة الآلام والآمال والأحلام والرضا والسخط والفرح والحزن لجمهرة الشعب وهى التى نتعلمها كما يقول (دانتى) بمحاكاة أظآرنا ومربياتنا من غير حاجة إلى ضابط أو قاعدة، والأخرى لغة الإنشاء أى اللحظات القليلة فى حياة الفئة المحدودة من الأدباء ومدرسى اللغة. وهى مع ذلك لغة الأدب العربى فى عصوره الزاهرة، ولغة الاسلام فى كتابه وسنته وتشريعه. ولغة الآمال و الآلام المشتركة بين الأمم العربية.

فماذا نقترح لتيسير الاعراب وتسهيل تعلم اللغة الفصيحة ؟

(١) قصر الاعراب على لغة الأدب والعلم وما شاكلهما

لا أجد بدا من ترك الاعراب فى لغة الحديث اليومى المعتاد لانى أرى من العبث أن أدعو إلى الاستمساك به فى لغة الغرض منها تحقيق المنافع السريعة والتفاهم العاجل الميسر وليس الغرض منها الافتنان أو التعبير الممتاز.

وما من إنسان يستطيع أن يدعى أن لغة الشعر والكتابة فى الانجليزية والفرنسية والألمانية مثلا هى لغة المحادثة والمشافهة والخطاب المعتاد، إذ بينهما من الفروق ما يجعل هذه من تلك شبيهة بالعامية من الفصحى عندنا وإن كانت الهوة عندنا أوسع لطول عهدنا بالجهل والركود ولطول ما حوربت الفصحى فى مصر والشرق بالتركية آنا والفرنسيه والانجليزية آنا . فلغة التخاطب بين الفلاحين الفرنسيين أو الانجليز أو الألمان تختلف كثيرا عن اللغة الادبية لغة الكتابة والانشاء ويظهر هذا الاختلاف فى نطق الكلمات واستعمالها وتطبيق القواعد النحوية ، وإنى لأ ذكر ما سمعته مرة من فلاح إنجليزى يعلم ابنه فسألته . ماذا يعمل معه ! فقال .

i learn'm يريد I teach him فاستعمل learn بدل teach ، وكذلك يستعمل الانجليزى العادى فى لغة حديثة عبارة I havenotgotnotbing يريد Ihavenotbing

ويظهر الخطأ النحوى متفشيا بين الفلاحين والعمال الألمان لأن النحو

الالمانى يشبه فى صعوبته النحو العربى ولذلك قل أن يستعمل العامل الالمانى فى لغة التخاطب الاضافة الصحيحة Genativ أو يحافظ على عمل الحروف كحرف الجر مثلا أو يعرف استعمالها الصحيح . فهو يستعمل nech بدلا من zU (١) على أن عاميتنا آخذة الآن فى القرب من الفصحى بعد انتشار التعليم ووسائل الثقافة ويقظة الروح القومى حتى ليصح القول إنها قد ارتقت منذ عشرين عاما رقيا يبشر بأنها بعد قرن واحد ستكون قريبة من الفصحى قرب لغة الحديث الانجليزية من الانجليزية المكتوبة .

ولكن لست أدعى أنها ستكون معربة يوما ما ، لما فى الاعراب من جهد ، ولحاجة المتكلم به إلى روية ومرانة لا يكتسبهما إلا المختصون فى دراسة هذه اللغة ، المدربون على التكلم بها ، أو الناشئون فى بيئة عربية خالصة . ولأن الناس فى محادثاتهم يختصرون الطريق ، ويميلون إلى التسهيل والتسمح .

ومن اتفاق الخواطر أن القلقشندى قد دعا إلى مثل هذا الرأى ، فقال . « واعلم أن اللحن قد فشا فى الناس ، والألسنة قد تغيرت ، حتى صار التكلم بالاعراب عيبا ، والنطق بالكلام الفصيح عيا ، قلت . والذى يقتضيه حال الزمان ، والجرى على منهاج الناس أن يحافظ على الاعراب فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وفى الشعر ، والكلام المسجوع ، وما يدون من الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها ، ويغتفر اللحن فى الكلام ، الشائع بين الناس ، الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه بينهم ، ويتحاورون به فى مخاطباتهم ، وعلى ذلك جرت سنة الناس فى الكلام مذ فسدت الألسنة ، وتغيرت اللغة »(٢)

ويعضدنى فى هذا الرأى أن اللحن فى لغة المشافهة قد وقع قديما ، واللغة أقرب إلى السلامة ، وأبعد من العجمة ، وإذا كان بعض النحاة قد تأول بعض ما وقع فإن هذا لا يخرجه عن أنه مخالفة للمتعارف من أوضاع اللغة بين جمهور العرب ، ويحسن أن أورد هنا بعض الأمثلة من اللحن الذى طرأ على لغة الخطاب فى صدر الاسلام ، وفى العصر الأموى ، والعباسى الأول ،

---

(١) من محاضرة الاستاذ عبد العزيز أمين (صحيفة دار العلوم)

(٢) صبح الاعشى ﺣ ١ ص ١٧٤

يستبين منها أن بعض البلغاء، وبعض العرب قد لحنوا .

(ا) ظهر قليل من اللحن فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد ورد أنه مر بقوم يرمون ، فاستقبح رميهم ، فقال . ما أسوأ رميكم ! فقالوا: نحن قوم متعلمين ، فقال عمر . لحنكم أشد على من فساد رميكم .

(ب) ورد أن كاتبا لأبى موسى الأشعرى كتب إلى عمر . « من أبوموسى الأشعرى » فكتب عمر إلى أبى موسى . عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطا.

(ح) ارتفع إلى زياد رجل وأخوه فى ميراث ، فقال . « إن أبونا مات ، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله » فقال زياد . « الذى أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك » وقال له القاضى . « فلا رحم الله أباك ، ولا نتج عظم أخيك ، قم فى لعنة الله .

(ء) وقال أبو شيبة قاضى واسط . أتيتمونا بعد أن أردنا أن نقم(٢)

(ﻫ) روى أبو الحسن أن الحجاج كان يقرأ . « إنا من المجرمون منتقمون » ، على أن رؤبة بن العجاج وأبا عمرو بن العلاء قد زعما أنهما لم يريا قرويين أفصح من الحسن والحجاج .

(و) وغلط الحسن فى حرفين من القرآن الكريم هما . « ص والقرآن » « وما تنزلت به الشياطون »

(ز) وأول لحن سمع بالبادية . هذه عصاتى (١)

(ح) وقيل لأبى حنيفة . ماتقول فى رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله ، أتقيده به ؟ قال لا ولو ضرب رأسه بأبا قبيس (٣) .

وقد احتج له ابن فارس بأنه جرى على لهجة عربية ، قال ياقوت . فهذا احتجاج إن كان أبو حنيفة قصد هذه اللغة الغريبة الشاذة .

(ط) وقال بشر المريسى : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها.

(ى) قال بشر بن مروان — وعنده عمر بن عبد العزيز — لغلام له . أدع لى صالحا ، فقال الغلام . يا صالحا ، فقال له بشر . ألق منها ألف ، فقال له عمر . وأنت فزد فى ألفك ألفا .

---

(١) البيان والتبيين ﺤ ٢ ص ١٧٥ (٢) البيان ﺤ ٢ ص ١٧٤

(٣) البيان ﺤ ٣ ص ١٦٩

(ك) حكى عن الفراء مع جلالة قدره وعلو رتبته فى النحو أنه دخل يوما على الرشيد ، فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحي . يا أمير المؤمنين . إنه قد لحن ، فقال الرشيد للغراء . أتلحن يايحي ؟ فقال ياأمير المومنين . إن طباع أهل البدو الإعراب ، وطباع أهل الحضر اللحن ، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت ، فاستحسن الرشيد كلامه »(١)

* * *

وكان لحنهم أنواعا ، فلحن فى الإعراب كما سبق ، ولحن فى بناء الكلمة كالذى قيل . إن نبطيا سئل . لم اشتريت هذه الأتان ؟ فقال . أركبها وتلد لى (بفتح لام تلد) ولحن فى تركيب الجمل كالذى حكى الجاحظ قال . قلت لخادم لى . فى أى صناعة أسلم هذا الغلام ؟ قال . « أصحاب سند نعال » ، يريد فى أصحاب النعال السندية (٢) .

* * *

وبعد فهذه أمثلة قليلة من كثير من اللحن الذى روى عن العرب وعلماء النحو فى تلك العصور التى كانت فيها اللغة فصحى .

وليس بغريب أن يلحن النحاة ، لأن العلم باللغة ونحوها غير النطق بها وممارستها ، وكثيرا ما يجيد الرجل معرفة قواعد اللغة وضبطها وفهمها ثم لا يحسن أن يتكلم بها ، كالذى روى عن الفراء ، وعن الشلوبين فقد كان إماما فى النحو ولكنه لم يحسن الكلام ، لأن العلم بقوانين الاعراب إنما هو علم بكيفية العمل ، وليس هو نفس العمل ، ولذلك تجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة فى صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين إذا سئل كتابة سطرين إلى أخيه أو ذى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب ، وأكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك ، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى ، ولذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن إعراب الفاعل من

(١) صبح الاعشى ج ١ ص ١٧٣ (٢) البيان ج١ ص ١٢٢

المفعول ، ولا المرفوع من المجرور ، ولا شيئا من قوانين صناعة العربية »[١].

ولهذا حرص الجاحظ على أن تروى نوادر الأعراب معربة ، ونوادر العوام ملحونة ، على حالها ، ومتى سمعت بنادرة من كلام الأعراب فإياك وأن تحكيها إلا مع إعرابها ، ومخارج ألفاظها ، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها ، وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير ، وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحشوة والطغام فإياك وأن تستعمل فيها الاعراب ، أو أن تتخير لها لفظا حسنا ، أو أن تجعل لها من فيك مخرجا سريا ، فإن ذلك يفسد الامتاع بها ، ويخرجها من صورتها ».

ثم يقول عن أهل المدينة . « واللحن في عوامهم فاش ، وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب ، ثم يستملح اللحن من الكواعب النواهد ، ومن الشواب الملاح »[٢].

(٢) تعليم اللغة بالسماع أولا

بعد أن تتحلل من النحو والاعراب لغة المحادثة ، يبقى موقوفا على لغة العلم والأدب ، وعلى الخطابة بأنواعها . فكيف نعلمه ؟ وبم نيسره ؟ لعل أوضح ما ينير الطريق أمامنا إلى اقتراحنا أن نقرر أن اللغات كلها إنما تتعلم بالسماع ، ثم بالمزاولة .

فالطفل يسمع من أبويه ومخالطيه لغتهم فيحاكيهم فيها ، وينطق بما ينطقون به تدريجيا ، وكذلك كان العربي يسمع كلام خلطائه فيلقنه مفردات أولا ، ثم جملا ، ثم لا يزال سماعه يتجدد في كل وقت ، ومن كل متكلم ، ولا يزال يتمرن على القول حتى تصير اللغة ملكة له ، أو صفة راسخة فيه .

فخير وسيلة إذن لتعليم اللغة السماع ، والاستعمال ، والمشافهة ، ولكنا قد رأينا تعذر التزام الاعراب في لغة المشافهة ، فماذا نصنع لتيسيره في غيرها ؟

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٤ (٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٣٤

ماذا نصنع لتعويد الطالب أن يخطب فلا يلحن ، ويطالع فلا يلحن ، ويكتب فلا يلحن ؟

خير وسيلة فى نظرى حفظ القرآن الكريم كله أو كثير منه ، وحفظ كثير من الحديث الشريف وكلام العرب ، واستيعاب ما يمكن استيعابه من الشعر والنثر قديمه وحديثه الآن هذا كفيل بتقريب روح اللغة إلى الحافظ والقارىء والدارس .

ولهذا ملأ سيبويه كتابه بالشواهد ، ففيه ألف وخمسائة بيت من الشعر سوى الأمثال والجمل البليغة «فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة ، فتجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب . . . وتنبه به لشأن الملكة فاستوفى تعليمها . فكان أبلغ فى الافادة وأما المخالطون لكتب المتأخرين العارية عن ذلك إلا من القوانين النحوية مجردة عن أشعار العرب وكلامهم فعلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة . . . فتجدهم يحسبون أنهم قد حصلوا على رتبة فى لسان العرب وهم أبعد الناس عنه ، وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم ، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم . والتفقه فى الكثير من التراكيب فى مجالس تعليمهم. . .وأما من سواهم من أهل المغرب وإفريقيه وغيرهم فاجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثا ، وقطعوا النظر عن التفقه فى تراكيب كلام العرب ، إلا إن أعربوا شاهدا ، أو رجحوا مذهبا من جهة الاقتضاء الذهنى لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه ، فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل وبعدت عن مناحى اللسان وملكته وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث فى شواهد اللسان وتراكيبه وتميز أساليبه وغفلتهم عن المران فى ذلك للمتعلم فهو أحسن ما يفيد الملكة فى اللسان »(١)

ولقد كانت طريقة العرب فى تعلم اللغة الفصحى هى المخالطه للفصحاء

(١) المقدمة ص ٤٩٥

ومعاشرتهم فقد قيل لبشار : « ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه وإنه ليس فى شعرك مايشك فيه » قال : « ومن أين يأتينى الخطأ وولدت هاهنا ونشأت فى حجور ثمانين شيخا من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يحرف كلمة من الخطأ . وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم وأينعت فأبديت إلى أن أدركت فمن أين يأتينى الخطأ ؟ (١) .

وقد تخرج فى البادية أبو نواس والفرزدق ورؤبة وأبو الطيب وغيرهم كما كان بعض الخلفاء يبعثون بأبنائهم إليها للتفصح واستقاء اللغة من ينابيعها.

وقد فطن ابن خلدون إلى أن الطريقة المثلى لتعلم اللغة المرانة وكثرة الحفظ والقراءة ، لينطبع لسان المتعلم وفكره على اللغة ، وقرر أن سكان الأمصار أشد إغراقا فى اللحن من سكان البوادى ، لأنهم لقنوا أول الأمر لغة ملحونة ، فاعوجت ألسنتهم ، وفسدت لغتهم ، فالنحو وحده لا يكفى . بل لابد من مخالطة الأعراب ، والتدرب على محادثتهم ، لأن اللغة ملكة ، والملكات لا تكتسب إلا بالتكرار والارتياض والمران ، فقد كان العربى يحاكى أهله فى نطقهم وتعبيرهم كما يحاكى الطفل أهله فى النطق فى هذه الأيام بأية لغة .

وفى العصر الحديث تعلم البارودى اللغة العربية وأجادها فهما ، وأجاد الشعر نظما ، ولم يتعلم نحوا ، وذلك بكثرة قراءته وحفظه ، كما يقرر ذلك الشيخ حسين المرصفى فى كتابه (الوسيلة الأدبية) .

ولهذا رأى (فترينو) زعيم التربية الأدبية فى إيطاليا أن أنجع وسيلة لتعليم اللغة اللاتينية للأطفال أن يجعلها لغة المحادثة منذ الصغر، يتفاهمون بها، ويتحدثون مع أستاذهم ، على أنه عنى بتجويد نطقهم ، وجودة إلقائهم ، وتمثيلهم للمعانى .

---

(١) الاغانى ج ٣ ص ٢٦

(٣) لغة الحياة

ثم تستنبط القواعد النحوية من قطع إنشائية شائقة من عمل المدرس متصلة بحياة التلاميذ وبيئتهم وملائمة لميولهم وعقليتهم، ويحسن أن تكون متمشية مع مايشغلهم ويسترعى انتباههم من حوادث المدرسة أو حوادث الخارج كمباراة فى الكرة أو رحلة مدرسية أو ذكرى الجهاد ، أو رأس السنة الخ . .

وقد مارست هذا فى تدريس الصرف للسنة الثانية الثانوية حتى فى أكثر الموضوعات جفافا كالمصدر ، واسم الزمان والمكان ، والتصغير ، واسم المفعول ، فكنت أكتب لهم على السبورة قطعة حية شائقة يكثر فيها اسم المفعول مثلا بصورتيه ، وأحوال عمله ، ثم أستنبط منهم القاعدة .

والحق أنى وجدت فى ذلك تيسيرا عليهم ، وتشويقا لهم ، ووجدت أن القطعة المترابطة الشائقة كفيلة بسرعة الفهم ، ومرغبة فى القواعد ، لأن التلاميذ لايحسون آنئذ أن القواعد جافة ، ولا أنها منبتة عن الحياة .

(٤) الاقتصار على المهم

على أن نقتصر فى التعليم الابتدائى والثانوى على المهم الضرورى من القواعد ، فما حاجة الطلبة إلى توكيد الفعل المسند إلى ألف الاثنين واو الجماعة وياء المخاطبة ونون النسوة ؟ وماحاجتهم إلى التوسع فى النسب والتصغير ؟ ثم مالهم وتوكيد الضمير البارز والمستتر بالنفس والعين ؟ وما الداعى لتعليمهم قواعد مصادر الثلاثى وهى تقريبية لاقياسية ؟ ولم نعلمهم النكرة غير المقصودة فى النداء ؟ وكذا أحوال اسم لا ؟ وانهم لمعذورون فى اضطرابهم بين المفرد والجملة ، فالمفرد تارة ماليس مثنى ولا جمعا ، وتارة ماليس جملة ولاشبه جملة .

فمن الصالح حذف هذه الأبواب والمصطلحات .

ومن الصالح حذف الإعراب التقديرى والمحلى من المدرسة الابتدائية ، والاكتفاء فيها بألقاب البناء لتدل على البناء وعلى الإعراب معا . كما تحذف

موضوعات يمكن الاستغناء عنها إما لأنها لا دخل لها فى ضبط أواخر الكلمات كالإعلال والإبدال وقواعدهما وشروط عمل اسم الفاعل والمفعول والتفضيل ، وإما لأنها قليلة الاستعمال كتصغير غير الثلاثى ، والاستغاثة الندبة والاشتغال ، وإما لأنها يصح فيها وجهان كالعطف على الضمير المستتر بعد فصل أو بغير فصل .

ثم تحذف أحوال بناء الماضى والأمر ، فإن نطقهما فى جميع أحوالها غير محتاج إلى قاعدة تبين أحوال البناء كما لا ننص على إعراب الحروف .

(٥) التطبيق ، والشفهى خاصة

بعد هذا الاختصار ، والاقتصار ، وبعد استنباط القواعد من نماذج وثيقة الصلة بالحياة لا بد من التطبيق ، وليكن أكثره شفهيا .

وإذا كان بعضه تكوينيا فليحذر المدرس القيود المملة الدوارة ، بل ليهدف إلى الغرض فى طريق مستقيم .

وحبذا أن يحرص المدرسون جميعا على التدريس بلغة صحيحة ، ففى حرصهم هذا تغذية للتلاميذ وتقوية ، ثم يحسن المدرسون صنعا إذا شجعوا التلاميذ على توخى اللغة الصحيحة فى إجابتهم الشفهية ومحاوراتهم وأسئلتهم، ليكتبوا بعد ذلك كتابة سليمة ، وليسهل عليهم القول فى مجال القول .

(٦) الشكل

ثم لا بد من شكل كل كتاب يقرؤه التلاميذ ، سواء أكان شكلا كاملا أم شكلا لغير الحروف المفتوحة ، لأن الفتحة أكثر من نصف الحركات والسكون معا ، ويعتبر تركها اصطلاحا يدل عليها .

وقد دلت التجارب على أن التلاميذ حتى فى المدرسة الابتدائية يقرءون قراءة صحيحة ما كان مشكولا ؛ وإنما يقع منهم اللحن أحيانا لبعد الشكل عن الحرف ، أو اختلاطه بغيره ، أو لقلة الانتباه .

والشكل مشكلة قد كثر فيها البحث، وكثرت الاقتراحات ، ولعل أولاها بالتجربة والقبول إدخال حروف فى رسم الكلمات نفسها بصورتها العربية ،

ومادام لم يجرب اقتراح ما فلنثبت على الشكل المعروف حتى تثبت صلاحية غيره.

(٧) وسائل الثقافة

ومما يساعد على نشر اللغة الصحيحة الخطب فى المدرسة وخارجها ، والأغانى ، والإذاعة ، والمسرح ، والخيالة ، والإعلانات ، والصحف ، والمجلات ، والمناظرات الخ . فلو توخت هذه كلها اللغة الصحيحة لأسهمت فى تعليم الشبان لغتهم القومية ، وسهلتها عليهم .

(٨) الكتاب الملائم

ثم لا يليق بنا أن تكون مكتباتنا فقيرة إلى هذا الحد من الكتب التى توائم روح الأطفال والشباب ، وترضى حاجتهم ، وتغذى خيالهم ، فليؤلف الكتاب والمدرسون فى العالم العربى كتبا تجتذب التلاميذ إلى قراءتها، فتثقفهم من ناحية ، وتعلمهم من ناحية ثانية ، فيتقنوها ، ويحسنوا التصرف فيها ، ويهجروا المجلات الماجنة والقصص المفسدة . ولقد يساعد الكتاب على ذلك دراستهم للطفولة فى مصر والعالم العربى ؛ وهذه ناحية مفقودة الآن تقريبا ، على حين قد حفلت مكتبات الأمم الراقية بالدراسات والبحوث فى نفسية الأطفال ، وخصائصهم قبل سن الروضة ، وفى المدرسة الابتدائية ، وعن الفتى والفتاة ، وعن منطق الأطفال وتفكيرهم وخيالهم الخ .

ثم يساعدهم دراسة المظاهر اللغوية عند الأطفال ، وطرائق النمو فى قاموسهم . ونوع الموضوعات والأساليب التى تناسب عقولهم وأخيلتهم وتصوراتهم فى كل مرحلة ، كما حدث فى الغرب بطريقة القائمة المدونة ، أو بطريقة النماذج على غرار طريقة جزل الأمريكى ، وكأبحاث العلامة بياجيه ، وهازلت ، وماكارتى ، وإيزاكس ، وإدجل ، وسرل برت الخ ، (١)

(١) الطفل من المهد إلى اللحد .

موكب الربيع ...

للشاعر محمد هارون الحلو

يانسمة فى فؤادى رفها أمل غدا الربيع ، فريان الهوى ثمل
أرى الأزاهير أعطافا مونقة يشف عنها خيال للمنى جذل
إذا ترامى على عينى بارقه ففى فؤادى رفيف منه متصل
عصا الربيع عصا سحرية نبعت بها الأفاويق فاهتاج الربى غزل
جم الصبابة فى الاغصان منفرد كأنه راهب فى الله معتزل
قد هاجه من ربيع الشوق مستبق إلى التناجى وأفياء الهوى ظلل
يهيم بالحسن والاحداق باسمة وقد أطل عليه الزنبق الخضل
ترى خيال المنى يغشى مباهجه ويعطف الروح فى فردوسه الأمل
كم أورقت حوله أمنية وهفت به الذوائب والأرداف والمقل
فتلك موشية رفت قلبى فتن من الهوى قد زهاها السحر النجل
وقد أحاط بعطفيها سمير هوى له بأفواهها عن غيرها شغل
ماللرياحين فى وادى الظلال حمى فكل غاد عليها شارب نسل
غدا الربيع ، فمل بى نحوه فتى لم يستبق لعرينى فيه منتقل
لكم وردنا به حوض الهوى وحلا للقلب والروح من فردوسه نهل
به مناسك غزلانى ومدرجتى مذبات للحسن فيه يضرب المثل
كانت ظبائى به تغدو مدلهة تسعى على حذر والليل منسدل
وكم يمين عقدنا فيه أن لنا من الوفاء وصدق الود متصل
أمضى فتمى حيالى غير نائية أحلام قلبى وقلبى شيق جذل
يهتاجه نحوها جذب أباعده عنها برفق ولكن وكيف ينفصل
سيال روحى وكهراب الهوى وسرى نفسى وخطرة مافى الفكر والوهل
تلك التى طالما بادلتها عبقا راح الهوى وشجاها الشعر والغزل

ياطيب الله أنفاساً معطرة … كانت تروح عن نفسى بها القبل
تاريخ عشق قصصناه ولذ لنا … وسوف يرويه حاد بعدنا زجل
آذار كفك بالانداء عاطرة … والبشر والصفو مذ وافيت مكتمل
تهفو علينا بك الاحلام ريقة … والعيش أسبابه موصولة ذلل
روى الفؤاد وراق النبع وائتلقت … بك المجالى وطابت بينك النزل
فالسحر مياسة الاعطاف تنطقه … بعبقرى المعانى وهو منفتل
لها معاطف سوسان قد ازدهرت … والغصن مخضوضر والقد معتدل
ترف بين الروابى وهى حالية … والدر والتبر فى أعطافها حلل
وكل ثغر به للحسن شاردة … من الامانى تناغيه وتحتفل
وفى الغدير خيال باسم ورؤى … يشف عنها السنا والبارق الهطل
در يفيض وجـه البدر كما … يفيض بالخير والاحسان من يصل
ويطبيك بعرش الشمس راقصة … من الشعاعات والاظلال تنتقل
ياورد كم ذا تشوق المدنفين إذا … مروا عليك وهم غاد ومرتحل
أنت الرسول إلى الاحباب تألفهم … ويألفونك إما كذب الرسل
هو الربيع حداء العاشقين إذا … هبت رياح الضنى أوغامت السبل
ضفافه لهوات العيش ناضرة … يغوى المحبون فيها أينما نزلوا

محمد هارون الحلو

الفهرس